السيد بهاء الموسوي

تـأمـلات
في لُـب السـور والآيـات

تأملات في لُب السوروالآيات

السيد بهاء الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة المواضيع

لب قرآني في سورة يوسف .....

التأمل الاول: شكل السورة

التأمل الثاني: تنظيم العلائق الاربعة ابناء المجتمع

التأمل الثالث: ماذا يريد الله تعالى منا تجاه سورة يوسف؟

التأمل الرابع: وقفة جوهرية وأساسية في سورة يوسف

التأمل الخامس: وقفة المسمار الاستنكاري!

التأمل السادس: وجه الخطاب الموجة للنبي فيها

التأمل السابع: اوجه شبه وفوارق بين سورتين

التأمل الثامن: ختامه مسك.

لب قرآني في سورة الرعد .....

التأمل الاول: اصناف الناس في سورة الرعد

التأمل الثاني: فائدة وتذكرة في سورة الرعد

التأمل الثالث: على ماذا تركز سورة الرعد؟

التأمل الرابع: نوع السجدة في هذه السورة

التأمل الخامس: الوجه الباطني للسورة

التأمل السادس: لمحات بسيطة من القصص فيها

التأمل السابع: ختامها مسك

لب قرآني في سورة الحجر .....

التأمل الاول: زمن نزولها وارتباطها بأحداثه

التأمل الثاني: فرق بينها وبين سورة الرعد

التأمل الثالث: الاطار العام للسورة

التأمل الرابع: لوحة السورة(حديث الرحمن مع اهل الايمان)

التأمل الخامس: سورة الحجر والحروف المقطعة

التأمل السادس: ختامه مسك

لب قرآني في سورة المؤمنون .....

الوقفة الاولى: غاية السورة صناعة انسان عادي مفلح

الوقفة الثانية: عجائب في السورة

الوقفة الثالثة: شكل وصورة السورة

الوقفة الرابعة: ختام السورة

لب قرآني في سورة الكهف .....

الوقفة الاولى: بماذا تبدأ السورة؟

الوقفة الثانية: اربع قصص مفصلية

الوقفة الثالثة: رسم سورة الكهف

الوقفة الرابعة: ختام السورة

لب قرآني في سورة مريم .....

الوقفة الاولى: الرحمة لب سورة مريم

الوقفة الثانية: رسم الصورة

الوقفة الثالثة: بين الجمال والجلال

الوقفة الرابعة: رسائل في عجائب السورة

الوقفة الخامسة: معنى السجود فيها

الوقفة السادسة: النموذج مع المنهج

الوقفة السابعة: تأملات في بعض الآيات

الوقفة الثامنة: الخلاصة

الوقفة التاسعة: الخاتمة

لب قرآني في سورة يونس .....

الوقفة الاولى: الحقائق الاربعة

الوقفة الثانية: بين الترهيب والترغيب

الوقفة الثالثة: بين اهمية السمع والبصر ؟

الوقفة الرابعة: الهداية المهندسة

الوقفة الخامسة: وقفة المعلم مع التلميذ

الوقفة السادسة: التواصل النفسي في سورة يونس

الوقفة السابعة: رسم لوحة سورة يونس

الوقفة الثامنة: ختام السورة

سورة يوسف

هذه السورة الجميلة الجليلة العزيزة على القلوب، التي هي بحق سورة المحزون المكروب، اليائس القنط، سورة المسلية لكل قلب مر بضيق وهم، وانكسرت عصا توكله في طريق صعوبات الحياة.

عندما تقرأ سورة يوسف نمر على هذه الكلمة[أحسن القصص]، هذه العبارة علينا أن نقرأها ثم ندركها، ثم ندركها، ونعيدها مرات ومرات، ونتأملها بشكل دقيق، عميق، رقيق، نقرأها، نحفظها، نكتبها عنها،

نتأمل فيها، ونستخرج من طياتها كثير من الحلول لمشاكلنا، والأجوبة للكثير من أسئلتنا إذ إنها حقا وصدقا أحسن القصص!.

التأمل الاول: شكل السورة

عبارة عن وجود يدخلك في عمق وجودهم، حقيقة سورة يوسف ليست كلمات، اذا اردتم ان تعرفوا تجليات اعجاز القران الكريم، تأملوا في هذه السورة، هي سورة لا يقرأها احد الا وعاش كل المشاعر المختلطة، المختلفة، الاختلاج في هذه السورة، مشاعر الظالم في لحظة ظلمه، ومشاعر المظلوم في لحظة ظلمه، مشاعر الحاكم، المحكوم، مشاعر واحاسيس الكاذب، المكذوب عليه، مشاعر الكثير، القلة المكسورة التي تتوكل على الله، مشاعر المكر، القوة الواهمة، والقدرة العاجزة.

فهذه السورة شكلها عبارة عن وجود يدخلك الى وجود، فبمجرد ان تدخل في ءاياتها، تدخلك في داخل نفسياتهم جميعا، تدخلك الى عمق يوسف، حيث الحسرة والكسرة، الخذلان الذي عاشه، وهو يرى اخوته يضربونه، يحملونه ويلقونه في الجب! ثم تدخل الى نفوس أخوته لترى وتستشعر حجم ذلك الحقد الاعمى والقسوة الغليظة الشديدة،

ثم ترى قلب يعقوب وحزنه، وعينيه الدامعتين، من منكم لم يرى عينيه البيضاوين لما تلى(وابيضت)هذا التعبير يدخلك الى جوف عينه.

ثم ترى أمرأه العزيز وتلك الرغبة الجامحة المريضـــة العليلة، تلك الرغبة التي لا تعرف العقل والوعي ولا التعقل! ثم ترى النســـوة وهن يقطعن ايديهن وينظرن الى جمال يوسف.

ثم تنظر الى شــخصــية عزيز مصــر، وهو يتقلب بين تصــديق التهمة وقبول الفضيحة، هذين الخيارين الذين احلاهما مر!!.،

ثم حتى عندما تقرأ آيات الســجن لما تدخل وترى ماذا يفعل يوســف بالسجن؟ ماذا يقدم؟ وبأي شيء يتكلم؟ ذلك الشخص الذي مكر مع صــاحبه، وكيف انبئهما بتأويل رؤيتهما؟ ترى كل شــيء وتحســه؛ واقعا هذه السورة واحدة من اعظم تجليات الإعجاز القرآني.

التأمل الثاني: تنظيم العلائق الاربعة ابناء المجتمع

الذي يقرأ هذه الســـورة قراءة تفســـيرية يجد إنها تعالج اربع قضـــايا، وتتعامل مع أربعة معاملات تنظر اليها من أربع حيثيات هي أركان المجتمع، وعليها يعتمد المجتمع، وهي:

الركن الاول: تنظم العلاقات البينية/ البيتية/ الاســـرية الاجتماعية، فالإنسـان ذو علائق، وسـورة يوسـف تكون لديك منظومة صـحيحة للعلاقات، علاقة الاب مع ابناءه، علاقة الابناء مع ابيهم، الابناء مع بعضهم، الاب مع ابناءه، والى اخر هذه المسؤوليات.

***

الركن الثاني: تنظيم العلاقات مع البلاءات مع البلاء والشـدائد، هذه الســـورة تعطينـا الهيكليـة الـدقيقـة للتعـامـل مع الابتلاءات ســـواء كانت هذه الابتلاءات سـيئة بمظهرها او حسـنة بجوهرها، بالفقر او الغنى، بالسـجن او الملك، فالإنسـان سـواء كان غني او فقير، نبي او بشـر عادي، عزيز مصـر ام عامل من عمال قصـره، اي كيف يتعامل الانسان مع البلاءات من الصبر عليها الى الظفر والعروج بها؟

***

الركن الثالث: تعطينا الخريطة العامة والشـــاملة للتعامل مع الحكم لا الحاكم، يعني: كيف يتعامل الحاكم مع الحكم ومع من يحكمهم، ومن هم تحت سلطته؟ كيف يتعامل المحكومين مع الحاكم والحكم؟ -كيف يأتي الحاكم وعلى اي أسـاس؟ ما هي المقدمات، وما هي المواصـفات

التي تمكن الانســـان من بلوغ الحكم؟ من الذي يكون على خزانة الدولة؟ والخ من امور ترتبط بالحكم والحاكم العادل.

***

الركن الرابع: تعطينا الطريقة المثلى في التعامل مع المخالفين، والمختلفين معنا، ومع الذين لا يقبلوننا، ولا ينظرون اليك، ويقدحون بك، وكيف تكون هذه العلائق، علائق شرعية، رغم شدة صعوبتها، وتعقيد وضعها.

التأمل الثالث: ماذا يريد الله تعالى منا تجاه سورة يوسف؟

إذ هناك عبارة قالها أخوة يوســـف بعد أن تعرفوا عليه، هذه العبارة{ **أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُـــفُ**(٩٠)} فهي بحق لب هذه الســـورة، هذه هي أصل وفرع ونماء ورسالة السورة.

أنت/انتِ ايها القارئ! أعلم إنك أنت يوسف حياتك، وقصتك التي مرت بها احداث واحداث كثيرة، انت يراد منك ان تكون يوســـفها، ربما مرة بك احداث مشـــابهة(الشـــهوة في المكان الخالي، الحرابة من

الاخوان، الحكم والمكنة في الارض، الابتلاء والغربة، السجن، وكل ما في هذه الحياة من تقلبات، وتنوع ادوارها).

عندما تقرأ سورة يوسف وتقرأ هذه العبارة خاطب بها نفسك، وضع نفسك هنا، وهناك، في المواقف التي ذكرت في هذه القصة، وانظر ماذا صنع؟ وماذا انت صانع؟

عندما يعرض على الشاب/ الشابة الشهوة المحرمة هل يرى هذه الصورة: انك لانت يوسف؟ هل يقول كما قال: {**مَعَاذَ اللَّهِ**} ، ام يرتكب الجرم، ويقول: {**هَيْتَ لَكَ**}.

ايها المدرس مع طلابه، ايها الطبيب مع مرضاك، ايها الحاكم مع اناسك، ايها الوجيه مع اهل منطقتك، ايها العالم مع عملك، ايها الغني مع الفقراء، ايها القوي مع الضعفاء، انك انت يوسف فأرنا ماذا تصنع عندما تتنوع عليك الادوار اليوسفية؟

التأمل الرابع: وقفة جوهرية وأساسية في سورة يوسف

إن العظمة والقرب والمنزلة والعصمة والنبوة لم تمنع يوسف من أن يتعرض لهذه الابتلاءات العظيمة، السورة تتكلم عن كريم ابن كريم ابن

كريم عن يوسف ارن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم عليهم السلام ، فهذا النسب الرفيع، وهذه القيم والاسماء العالية الامعة، هي الشخصية هي التي ابتليت، انظر الى الوان البلاءات التي تعرض لها، لم يقل هذه الكلمة التي كثيرا ما نرددها "لماذا أنا"، فهذه النقطة مهمة جدا وجديرة بتغير نظرتنا تجاه البلاءات وكيفية التعامل معها، فهذا يوسف العظيم، لكن ابتلاءاته كانت عظيمة ايضا.

فالتأمل بسورة يوسف تجعلنا نخجل ونستحي من "الهشاشة النفسية" التي تصيبنا بمجرد ان تكثر صلواتنا، حسناتنا، تلاواتنا، صدقاتنا، بل نحن بمجرد أن نصلي صلاة الليل ننتظر نهارا بلا شتم، بلا ذم، بلا عثرة.. نحن نصوم ونتصور حياتنا ستكون بلا مرض، ولا إعراض او مشكلات، فهذه الوقفة الجوهرية بل الاساسية التي علينا إن تأملناها جيدا، ان نرتقي بها الى الله تعالى، لتطمئن قلوبنا ليس بالله بل لله تعالى.

التأمل الخامس: وقفة المسمار الاستنكاري!

كل اللذين يستمعون ويقرؤون هذه السورة، اول ما يلوح لنا هو ذلك الوجه الجميل الحسن اللطيف، ذلك الوجه المملوء بالحسن، وحتى عندما صورة قصة يوسف ومثلت هذه الشخصية في الدراما مثلت

بشكل ركزت على جعل شكله الاجمل التي تعلوه صبغات التجميل والمكياج، وبالمقابل صورت وجوه اخوته على انها ليست بذات الجمال، لكن الغريب ان سورة يوسف من بدايتها الى نهايتها لم تذكر ان يوسف كان جميل الوجه ابدا، وما ذكرت وجهه، ولم تفصل بذكر محاسنه المادية، ما تحدثت عن سماته وسجاياه المادية ابدا، إذ كان بالإمكان ان تذكر (كحسن الوجه والمظهر) لكن نرى انها لم تذكر بل عندما اقتربت الآيات من هذا المعنى(الجمال المادي) فإنها تحدثت بلسان النسوة الغافلات التي هي نفس النظرة التي وجه نظر المسلمين عند ذكر هذه الشخصية!! لم يركز على جمال العلم والحكمة، فسورة يوسف مدحت:

يوسف الحكيم المحسن الذي ينظم الامور بشكل دقيق وعجيب، الذي يعفو ويكظم غيظه عن الظالم والمسيء بشكل جميل وجليل، يوسف العابد الذي يقضي الليل بعبادته، ويتقلب ساجدا قائما بين يدي الله تعالى، يوسف النبي الذي هدى الكثير من الناس وغير وجهتها من عبدة اوثان الى عبد للرحمن، يوسف المؤمن، الصابر المتقي العفيف، الحفيظ الامين، هذه لا تذكر ؟!

هذه واحدة من النقاط والوقفات التي ينبغي ان نتأمل فيها، يوسف لم يؤثر بالناس لان وجهه جميل، فهذا ما يراد ان يصور للناس، بكونه

جميل وقد ســـحر به الناس وفتنت به، وحتى اما صـــوروا في الدراما خصومه وحتى اخوته وضعوا شخصيات ذات وجوه وملامح قاسية، وليست جميلة بالقياس لما تحمل شخصية يوسف من جمال.

وهذا يثقف على ان من لا يحمل جمال بالوجه، لا يرغب به، لا يمكن ان يؤثر ط، وهذا خطر جدا، وينشئ عقدة لكل من يقرأ أو يصور له هذا المعنى، ممن لا يملك مســتوى ودرجة عالية من الجمال الظاهري ، او قســم منه، فيعتبرها عقبة في طريقه للإحســان، والمبادرة، والتأثير، والتغيير، فيوســف اثر في الناس بصــدقه وامانته وحكمته وعلمه، بإحسانه وتواضعه، بأخلاقه، لم يؤثر بهم لان وجهه جميل.

التأمل السادس: وجه الخطاب الموجة للنبي فيها

تركز السورة في سياقها على تثبيت قلب النبي وليس قدم النبي والذين معه، في ضل الممارسات الشديدة والعتيدة التي خاضها في مكة.

كان النبي(صلى الله عليه واله) في مكة فجاءت سورة يوسف لتثبيت قلبه، لتعطي قلبه حالة من السكينة، هو ومن معه، المسألة ليست مسألة قَدم بل قِدم اي قلب، فإنك سترى ذلك واضح وجلي في ختام السورة.

التأمل السابع: اوجه شبه وفوارق بين سورتين

عند التأمل في سورة يوسف ومقارنتها مع سورة اخرى سميت سورة القصص نجد ان هناك عدة فوارق مشتركة بين القصتين والشخصيتين التي ركز على ذكرها في السورتين:

الفارق (١) سورة يوسف وصفت بإنها أحسن القصص، اما سورة القصص اسمها القصص.

الفارق (٢) في سورة يوسف ركزت على ذكر النبي يوسف، وفي سورة القصص ركزت على ذكر النبي موسى.

الفارق (٣) في سورة يوسف ركز على ذكر دور الاب الذي يقلق ، يشتاق، يتألم، تبيض عيناه، دون الام، في سورة القصص ركز على ذكر دور الام هي التي تحضن، وتخاف، تقلق، تلقي في اليم، تستبشر، دون ذكر لدور الاب.

(وهنا رسالة جميلة بتنوع الادوار: بأن الاب وحده لا يكفي، والام وحدها لا تكفي، لابد ان يكون الاب والام يحميان يوسفهما وموساهما).

الفارق (٤) في سورة يوسف، يوسف وضع في الماء لكن في البئر، في سورة القصص موسى الوليد وضع في الماء لكن في اليم.(وكلاهما نجيا من الغرق او الهلاك في الماء)

الفارق (٥) في سورة يوسف: يوسف ينجو من البئر ويدخل قصر عزيز مصر، في سورة القصص: موسى ينجو من اليم ويرسو حيث قصر فرعون.

الفارق (٦) في سورة يوسف: يوسف سبب تفرقه عن ابيه اخوته، في سورة القصص: موسى سبب جمعه بإمه اخته، (وكأن الله تعالى اراد ان يقول: رب اخت مخلصة خير من عصبة اخوة خائنين)

الفارق (٧) في سورة يوسف: يوسف يستقر به الحال في قصر في مصر، في سورة القصص موسى كذلك.

الفارق (٨) في سورة يوسف: يوسف تحتضنه الزوجة، في سورة القصص: موسى تنجده زوجة فرعون.

الفارق (٩) في سورة يوسف: عزيز مصر قال هذه العبارة لزوجته عسى ان ينفعنا ونتخذه ولدا، في سورة القصص لما اراد فرعون قتله موسى زوجة فرعون قالت عسى ان ينفعنا، نفس العبارة قيلت وكان

لها الدور في حفظ حياة نبيين ليكملا دورهم التبليغ لدعوة الناس لتوحيد الله.

الفارق (١٠) في سورة يوسف كلن لديه شاهد شهد له وهو الطفل، في سورة القصص موسى كان لديه شاهد شهد عليه وهو من بني اسرائيل.

الفارق (١١) في سورة يوسف: يوسف اتهم وكان بريء وادخل السجن، في سورة القصص موسى قتل قبطي وفر خارج مصر.

الفارق (١٢)

في سورة يوسف: يوسف بدأ خارجها وانتهى بمصر، في سورة القصص موسى بدأ بمصر وانتهى خارجها.

التأمل الثامن: ختامه مسك

قال تعالى: {**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**(١١١)}

سورة الرعد

هذه السورة اسم على مسمى فهي سورة رعدية، ليس لان الرعد قد ذكر فيها، كلا! القرآن اكبر من ذلك، بل لأنها بحق سورة الرعد، الذي يتأمل فيها يجد إن فيها سرد مهيب للأدلة على وجود الله وعظمته وكبريائه، وهيبته.

يجد فيها وعيد رهيب للكافرين، المعاندين، الذين يتصدون للإلحاد والابتعاد، وابعاد الناس عن الله تعالى.

التأمل الاول: اصناف الناس في سورة الرعد

في سورة الرعد رعد وبرق شديد لا على المبتعدين عن الله تعالى، بل على اصناف متعددة من الناس، وكأن الانسان اذا دخل الى سورة الرعد يشعر بأن الادلة والبراهين تمطر عليه مثل البرق والرعد، فتهزه وتزلزله من الداخل، فالناس ثلاث اصناف في سورة الرعد:

الصنف الاول: مبتعد عن فطنة، هالك، (خطورته أنه يعمل على ابعاد الناس ليكون مصيرهم كمصيره)

الصنف الثاني: مبتعد غافل، متبع لهواه، يمكن أن يتيقظ.

الصنف الثالث: قريب ولكن هو في حالة نماء وتكامل ليكون اقرب الى خالقه.

التأمل الثاني: فائدة وتذكرة في سورة الرعد

كل شاب/شابة، كل رجل/ امرأة، اذا رأى صديقه، ابنه، او حتى نفسه بدأوا يتزلزلون، يبردون في علاقتهم مع الله تعالى، او صارت لديهم حالة من حالات التثاقل عن الموعظة، قل تأثره بنور القران الكريم، فلينصحوهم بقراءة هذه السورة، فهي توقظ الانسان من داخله، تجعله منتبه، كيف إن الانسان لما ينام، ويبدأ الرعد في السماء

فيستيقظ حتى لو كان من ذوي النوم الثقيل؛ فهي سورة تنبه الغافل، وتوجه الملتفت، لذا هي نافعة للغافلين المتكاسلين، المتثاقلين عن ذكر الله، الذين بدأت عليهم علامات الروتين في التعامل مع العلاقة مع الله، والاعتياد على ممارسة العبادات والطاعات، وتنفع المنتبهين لكنهم لم ينشطوا بحركتهم تجاه الله بما يتناسب مع تنبهم ويقظتهم.

التأمل الثالث: على ماذا تركز سورة الرعد؟

سورة الرعد تركز على العواقب، تحديا مرة، تنبيه، ايقاظ مرة اخرى، إذ تكررت كلمة (العقبى) تقريبا باللفظ الدقيق خمس مرات. وباللفظ الغير دقيق العاقبة بلفظ الختام او ما يدل على سوء الجزاء هي ثمان مرات.

اما سبب ما نجده من تركيز على هذه اللفظة في سورة واحدة لان اساس غاية ورسالة هذه السورة هي ايصال التالي لها، والمتأمل بها الى الانتباه والتنبه، والتنبه غايته ان يسير الانسان وهو منتبه الى نهايته.

ففي هذه السورة تركز على هذه المفردة الدقيقة والعميقة والخطيرة والمصيرية بأكثر من مرة وبأكثر من طريقة هي اشارة دقيقة، ورسالة لكل من يقرا هذه السورة ان ينتبه لعاقبته او يُحسن او يصحح مساره، ليصلح عاقبته، لأنها تخاطب الاصناف الثلاثة.

التأمل الرابع: نوع السجدة في هذه السورة

في هذه السورة توجد سجدة غير واجبة تسمى بالفقه (سجدة التلاوة) ولكن في سورة الرعد تسمى (سجدة الرهبة/ الخشعة)، بما يتناسب مع مقاصد آياتها، فآياتها الرعدية التي تتكلم عن عظم الله، قدرته، هيمنته، سيطرته، في هذه اللحظة تأتي ابرز مواطن السجدة، الرهبة، الجلال، الهيبة تجاه الله سبحانه وتعالى.

كما في هذه الآيات :{**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ○ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ○ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ○ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ○ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ○ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ○ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ**

لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ(١٤)}

فكأنها تأتي في هذا المورد في حالة ذاتية غير شعورية لسجود العبد بين يدي السلطان الكبير عندما يبدأ بعرض ادلته وعظمته عليه.

قال تعالى: {**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩(١٥)**}، فكل ما تحتاجه مع ما في هذه الآية هو ان تكون في حالة إنحناء وخضوع- وكما قلنا- سجود حتى لا تصيبك ما ينتج من الرعد من ضرب على القلب.

الآية تقول: وإن لم يسجد طوعا يسجد كرها، وإن لم يسجدوا كرها يسجد ظلهم طوعا.

فهي تقول: انت على كل حال محتاج الى ان تسجد، كلمة قراتها وسمعت بإسم هذه السورة تجسد امامك معنى الخضوع والسجود للمعبود.

التأمل الخامس: الوجه الباطني للسورة

وانت تقرأ سورة الرعد يخيل لك خطابها الشديد المهيب القوي، الرعدي الصاعقي الذي يوقظ الانسان من مضجعه، ان الآية التي اجدها في سورة الرعد تتحدث عن الرجاء والحنان الالهي لحري ان تكون هي ارجى اية في مثل هذه السورة التي تضج بمفاهيم الخوف، والخطابات والادلة والبراهين الكبرياء والعظمة والنقمة، ثم تجد فيها اية عن الرجاء؟ حقيقة ينبغي أن تكون هي ارجى اية، اذ يقول تعالى: {**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ**(٦)}، هنا تبين لنا ان قلب العقاب حب، قلب الغلظة رقة، قلب الرعد مطر ومدد، لذا هذه السورة مع إن ظاهرها خوف لكن باطنها كله رجاء، فتعالى يُحدث الرعد لأجل ايقاظ الانسان من منامه، حتى لا يبقى غافل ساهي لاهي مبتعد.

التأمل السادس: لمحات بسيطة من القصص فيها

قصة(١): العجب على ما يكون؟

قال تعالى: {وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٣)}

الله تعالى ليس يلفت انتباهنا ان العجب يجب ان يكون ليس من كيفية خلقتهم من جديد بل العجب كيف يستغربون من ان يخلقوا من جديد، وقد خلقوا من قبل من عدم مديد؟!

الله تعالى هنا يستنكر، يستفزز، يستدرج عمق فطرة الانسان، فالعجيب ليس ان نعيد خلقك من جديد، بل العجيب اننا خلقناك من قبل ولم تكن شيئا مذكورا، فمن اين جئت أذن؟! وهذا التعجب حقيقة تعجب يكشف عن الدرجة التي وصل اليها الانسان في غفلته، اذ لا يتعجب من ايجاده من العدم، ويتعجب من ايجاده بعد الموت.

****

قصة(٢): قول ورد

قال تعالى: {**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ(٧)**}

الآية هي المعجزة والعلامة، القول هنا للكافرين، ولكن الرد للنبي قال انما (انت) وليس (هو) وليس لهم، وكأنه تعالى أخرجهم من نطاق الرد، وكأنه لا يعبئ بكلامهم، هنا قمة التعامل الالهي بالجبروت مع طغيان الانسان الفقير الصغير الذليل، وكأن هذا الجواب يُرجع الانسان لأصله.

****

قصة(٤): الحنان والنكران

قال تعالى: { **سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ○ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ(٩)**}

ســـواء يتكلم بإخفات او هدوء او بصـــوة عالي، بالكتابة في مواقع التواصل، سواء يكفر بالليل، او بالنهار، فهو له معقبات، ولكن قصة الانسان في هذه الآية هي ان الانسان الذي يكون عرضة لغضب الله ولصاعقته، لإنه ممن يجاهر بالعصيان بالكفر، بالشرك بالله، بالمقابل ماذا يفعل معه تعالى؟

يقول له وضـــعت لك معقبات يحفظنك من امري هذا!! معقبات تحفظك من اســـتحقاقك لنقمتي، وهذه الآية فيها قمة التهديد وقمة الحنان الحميد، لان الله تعالى يتعامل هكذا لان الله{ **لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِـهِمْ**ۗ}، اذ يحتاج الامر الى ان ينهض الانســان شيء فشيء.

ثم يقول: قد تتصـــور إن هذا ضـــعف او قلة قدرة من الله، فيجعلك تتمادى وتتعامل مع حقيقة نزول العقاب عليك فأعلم {**وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُـــوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ**}، فلا معقبات، ولا ملائكة ولا مصـــدات تنجيك، ولكن انما هذه المعقبات هي وفق مبدأ إن الله يمهل ولا يهمل، انما هي قصـــة الحنان الالهي مع ونكران العبد.

****

قصة(٥): مفتاح قرآني

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ(٣١)}

اية عجيبة، غريبة، رهيبة، اية الاسرار، القدرة، المعجزة، مفتاحية، ففي هذه الآية اسرار قطع المقامات وتشير للأثقال المحمولة على الظهر، واحياء القلوب الميتة، فمن أين نحن من هذا المفتاح؟

جبال الهموم، الغموم، الذنوب، يسيرها الله ويجعلها خفيفة فتنقشع، والارض التي نراها بعيدة، الارض المقفرة، بالرحمة الله تعالى يطويها لنا، فنصل اليه، والميت القلب يُخاطب بها، فيحيى من جديد.

****

قصة(٦): العتب الالهي!

قال تعالى: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ

الْقَوْلِ ۚ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ(٣٣)}

الآية تقول {على كل نفس}، بمعنى(نَفس) اي كل فرد، وفي قراءة اخرى كما يشير السيد السبزواري في تفسير مواهب الرحمن قال: {كل نَفَس}.

ثم قالت{**بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ**} هذه الآية حزينة، مؤلمة، هذا القائم على كل نفس، يقول: (قل سموهم)، الحزب، الجهة، الصديق، الاطفال، المال، الجاه، كلها شركاء! في نهاية الآية يقول: الامر غريب ان تصلوا لهذا المستوى ولكن السبب هو{**بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ**}.

التأمل السابع: ختامها مسك

إذ ختمت بعلي(عليه السلام) {**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ(٤٣)**}، روي: أنه سئل سعيد بن جبير «و من عنده علم الكتاب» عبد الله بن سلام؟ قال: لا و كيف؟ و هذه السورة مكية:. أقول: و رواه في

الدر المنثور، عن سعيد بن منصور و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و النحاس في ناسخه عن ابن جبير.

و في تفسير البرهان، أيضا عن الفقيه ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن علي بن عابس قال: دخلت أنا و أبو مريم على عبد الله بن عطاء قال: يا أبا مريم حدث عليا بالحديث الذي حدثتني عن أبي جعفر. قال: كنت عند أبي جعفر جالسا إذ مر عليه ابن عبد الله بن سلام. قلت: جعلني الله فداك هذا ابن الذي عنده علم الكتاب. قال: لا و لكنه صاحبكم علي بن أبي طالب الذي نزلت فيه آيات من كتاب الله عز و جل: «و من عنده علم الكتاب» «أ فمن كان على بينة من ربه - و يتلوه شاهد منه» «إنما وليكم الله و رسوله» الآية.

سورة الحجر

سورة الحجر هذه السورة العزيزة الحميدة، سورة قصيرة فواصلها، جميلة كلماتها، لطيفة في مدلولاتها، إذ يمكن ان نطلق عليها تسمية سورة " **المؤانسة و الإيناس** "، فهذه السورة كلما وجدتم انفسكم في وحدة، غربة، وحشة، اقرأوها.

التأمل الاول: زمن نزولها وارتباطها بأحداثه

سـورة الحجر نزلت في عام الحزن والالم الذي بقي فيه النبي(صـلى الله عليه واله) غريبا وحيدا فريدا، حيث شمت به الاعداء، تخلى عنه كثير من الاقرباء، كسر جناحيه رحيل عمه ابو طالب عليه السلام وسيدة المؤمنين والمؤمنات خديجة عليها السلام.

في مثل هذا العام(عام الحصار، الغربة) وإذا بسورة الحجر تنزل، كإنها حجر رحماني للنبي؛ حقا إنها اسـم على مسـمى، فالحجر ليس بمعنى واحد، يمكن ان نفهم منه معنى الحضن.

(ونحن الان بأمس الحاجة لهذه السورة إذ نمر بفترة الحجر المنزلي وحظر التجوال)

التأمل الثاني: فرق بينها وبين سورة الرعد

إن فرقها عن سـورة الرعد فرق جوهري، إذ غلب في خطابات سـورة الرعد الخطاب الموجه للكافرين، المعاندين، المخالفين، للذين ابتعدوا عن الله سبحانه.

اما هذه السـورة اغلب الخطابات هي للنبي(صـلى الله عليه واله)، للقلب النبوي، للمؤمنين، للأفئدة تسلية، تسكينا، تثبيتا.

تلك السورة كانت مضامينها للمحاجة، المغلظة، هذه كلها دفئ وحنان موجه لقلب النبي بما يتناسب مع ما يمر به النبي من ظروف صعبة.

التأمل الثالث: الاطار العام للسورة

اطارها كان خطابات للنبي، لقلب النبي، لمشاعره، لفؤاده، حتى إنها في بعض الاحيان كإنها تداري مشاعر النبي(صلى الله عليه واله)، كأن تعالى يحرص في هذه السورة أن لا ينخدش فؤاد النبي لذلك آياتها قصيرة، فواصلها لامية او نونية، او ميمية، عباراتها قريبة جدا على الفؤاد، تنسكب على القلب انسكابا.

وكأن عبائر هذه السورة وضعت في قبال تلك العبائر والالفاظ السمجة التي كان يستمع لها النبي من اتباعه، من سب وشتم واستنكار، واستخفاف.

النبي في هذه الفترة كانت تمر عليه وعلى اتباعه بلاءات كالجبال، لم يكونوا فقط يمتنعون عن بيعهم او الشراء منهم بل كانوا يسبونهم، يشتمونهم، يستهزؤون بهم؛ لذلك هناك من تراجع من بعض المؤمنين.

التأمل الرابع: لوحة السورة
(حديث الرحمن مع اهل الايمان)

يمكن أن نتصور ونتخيل هذه اللوحة: مجموعة شباب رساليين، مؤمنين بمختلف الاعمار يجلسون حول بعضهم ومن حولهم الهموم والغموم والخذلان والنكران، قلة عدد، قلة ناصر، قلة واقفة معهم، كثرة واتر/ شامت.

في مثل تلك الجلسة وإذ برب العالمين يحادثهم، يسايرهم، يؤنسهم، يطمئنهم، يسكب كلمات هذه السورة على ارواحهم.

تخيلوا رب العالمين يسلي عباده المؤمنين الرساليين بهذه الطريقة: احدهم يشكوا للأخر، هذا يشكوا من صديق تخلى، وذاك من اخ ولى، ومن عدوا استعلى، وبهذه اللحظات تأتي هذه السورة مثل الحجر(الحضن) الذي يحيطهم، يحتويهم، يقول لهم عز وجل: لقد سمعت احاديثكم، فاستمعوا لحديثي.

يا تُرى! عما سيحدثهم تعالى في جلسة المؤانسة هذه؟ يبدأ يحدثهم عن السنن الكون، وقوانينه، التي (لا تختلف) و(لا تتخلف)، (لا تتغير) و(لا تتبدل).

ثم يحدثهم عن مصير الاعداء الساخرين، المستهزئين، الناكثين، المؤذين لهم، وكيف سيكون مصيرهم؟

ثم كيف بدأ الخلق؟ كيف بدأ الصراع؟ كيف بدأت العداوة بين ابليس وادم؟ بين الحق والباطل؟

ثم تحدث هن كيف استشعر البشر الشر؟ كيف انتشر الشر بالبشر؟

ثم تتحدث عن عاقبتهم الطيبة؟ كيف سيكونون؟ كيف سيذهبون؟ كيف ينتهي الظلم؟ كيف ينتصر الحق؟ كيف تتغير ملامح هذه الدنيا، فيذهب الزخرف والزبرج ويأتي نور الله جل وعلا؟

ثم يحدثهم عن أجمل موضوع، عن قصص السابقين الذين سبقوهم في المسير في هذا الطريق، الذين تأذوا، تألموا، ضربوا لكنهم ما تراجعوا، ما تنكبوا، ما سلكوا طريق اخر عن طريق الانبياء، عمن سبقوهم في الايمان.

اذن هذه السورة بمثابة سُور يضعه تعالى حول الذين امنوا فيدافع عنهم، ويدفع عنهم به، يجلبهم اليه ويحميهم فيه، قد يتألمون، يتزلزلون، يؤذون لكن لا يسمح لهم بأن يتراجعون، يحميهم من أن ينهزموا امام انفسهم، فهذه السورة هي سورة تحمي الانسان عندما يبقى غريب بين بني الانسان والبلدان.

التأمل الخامس: سورة الحجر والحروف المقطعة

"بين الجمع والتفريق"

رب العالمين يبدأ بالحروف المقطعة، وكأنه سبحانه يقول لنا: إنها من حروفكم، إنها مما تتكلمون، وبما تتخاطبون، فأروني كيف تنسجون؟ نحن نجمع فأروني كيف تجمعون؟ البشر يفرقون ولكنهم غير قادرون على أن يجمعوا، فيأتي الله سبحانه يقول لهم(انا اجمع) وهذه سمة الله(الله الجامع) والبشر هو المفرق!!

*****

"إستثارة وإستنفار"

قال تعالى: {**رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ**(٢)}

هنا نجد العجب العجاب في هذه الكلمة(ربما) هنا اتت ليس للتردد، كلا! بل اتت للاستثارة،(فتعالى يقبل كل راجع وتائب ولو كان كافر طالما هو في عالم الدنيا، فباب توبته مفتوح لا يغلق)، وللاستنفار، اي سياتي يوم يتمنون لو انهم كانوا مسلمين، فإدراك هذه الحقيقة إنهم سيتمنون لو كانوا مسلمين؟ وإنه سيأتي هذا اليوم؟ هذه الثقة التي تجعل الانسان مع الله بسكينة، (اي يشعر إنه الرابح على كل حال، وإن كان ظاهر الاسلام والمسلمين فيه شيء من الضعف، الا إنه في موضع القوة، فهو الرابح الناجي في نهاية الامر، إذ وفق للإيمان بالحق

والتسليم للحق، والالتحاق بركب المسلمين من اول الامر)ولذلك هي سورة السلوى.

*****

ثم يوصي النبي(صلى الله عليه واله) بوصية غريبة من نوعها، اذ في قمة الصراع/المحاصرة، قمة الغربة/ الوحشة، ماذا يقول كتاب الله: {**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**(٣)}

(ذرهم) اي اتركهم، هنا تتبدل المعادلة، فعندما تقرأ هذه الصحابة، الغرباء يشعرون بمنطق القوة والعلو(اي نحن الذين نذرهم وليس هم الذين يذروننا، نحن تركناهم، القبضة بأيدينا).

(يلههم الامل) كم فيها من هز وأز للإنسان من اجل أن يعود؛ حتى يتمنى ان يكون ممن اسلموا مع النبي.

*****

"اعظم عناد في التاريخ"

قال تعالى: {**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ○وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ○ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ○ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ○وَلَوْ فَتَحْنَا**

عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّـــمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ○لَقَالُوا إِنَّمَا سُـــكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ(١٠-١٥)}

الكون كله بكفة وهذه الآيات الســـتة في كفة اخرى، فيها عناد كل الوجود، الملحـدين، المنـافقين، الجهلـة، الحمقى، المتكبرين، الطغـاة، الشياطين.

هذه الآيات ترينا كم إن الله سـبحانه يوضـح لهم السـبيل ولا يذهبون اليه! الغريب أن لوط كان غريب حتى في منزله، مع زوجته كان وحيد، لوط الشريد، الغريب، هذا الذي ضل وحيدا في لحظة سكرة الكافرين، اغترارهم، نشوتهم، انتصارهم في ظاهرهم يأتي امر الله.

الهجرة الســـرية من ارض العذاب الى حجر رب الارباب، قال تعالى: {**فَأَسْـــرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُـــوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ**(٦٥)}، ولكنه لم يخف لإنه تحت نور وعطف ورحمة الله تعالى.

ثم الحديث عن اصـحاب الايكة والنبي شـعيب، وتلك المرحلة الطويلة التي شابت به لحيته الطويلة وحاجبه، واحدودب ظهره، وظل مستقيم، يُبلغ لربه، يرشد الخلق لربه.

ثم تنتقل الآية الى اصـــحاب الحجر الذين كذبوا بآيات الله وعاندوا وقتلوا المرســـلين وفعلوا ما فعلوا امام قوتهم وجبروتهم وطاقاتهم، قال تعالى: {**وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ**(٨٢)}.

عندما رأوا قوتهم البدنية وعضـــلاتهم عندما رؤا طاقاتهم ظنوا إنهم غير مُدَركِين(اي إن الله لا يقدر عليهم، ولســـان حالهم: من يقدر علينا! من يغلبنا)، فأتاهم الرد {**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ**(٨٣)}.

صـــيحة فقط، صـــيحة الهية تبدد كل المخاوف البشـــرية، وتبدل كل القوة البشـرية، تبدد العنجوان، العنجهان، وهذا الطغيان الذي يعيشـه الانسان، الا ترون انها تتحدث عن زماننا ؟!

الا ترون أن بين ســـورة الحجر والحَجر شـــبه بين اولئك وهؤلاء، وبين الضعفاء الذين يرون انهم اقوياء وبين هؤلاء الضعفاء الذين طغوا شبه.

هناك صيحة وهنا صيحة، والكل في بيوتهم جاثمين.

بعد القوة والعظمة والسيطرة، الهيمنة، الأخذ، الصيحة، بعد السيطرة، بعد كل هذا جاء الخطاب لقلب محمد(صـــلى الله عليه واله)، قال تعالى: {**وَمَا خَلَقْنَا السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّـــاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْـــفَحِ الصَّـــفْحَ الْجَمِيلَ**(٨٥)}، اصـــفح لأنك

الاقوى، لإنك المسيطر، لإنك عبد الله، لإنك محمد (صلى الله عليه واله).

يلتفت اصحابه مستغربين، نحن الذين نصفح! ومالذي نملك حتى نصفح؟ فهم ينظرون ما الذي اتاه محمد، مالذي يملك محمد، حتى يصل لمرحلة يقرر أن يصفح من موقع القوة والسيطرة.

فيأتي الجواب: {**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ○ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**(٨٦-٨٧)}.

****

"إستشعار المعية الالهية "

فبعد الحجر، والسلوى، المؤانسة، صرتم تعلمون أن معكم الله رب العالمين، لذا {**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**(٩٤)}، لقد وصلت لهذه المرحلة{**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**} لم نجعلهم لا يستهزئون بل كفيناك بمعنى أن قويناك ورفعناك في عليين، فجعلناك في حجر حيث لا تتأثر انت ومن معك من المؤمنين ولست انت فقط.

فليقولوا عن ابو ذر إنه ارذل الناس، ولمَ لا؟ أليس هو مع محمد؟ فليقولوا عن سليمان إنه فارسي، وليس عربي؟ أليس هو مع محمد؟

فليقولوا عن عمار منقطع الابوين، منقطع النســـل، اوليس هو مع محمد؟! هذا الحجر حجر الانتماء الى الله تعالى جعلهم لا يرون الاستهزاء مؤثرة عليهم.

التأمل السادس: ختامه مسك

دواء لكل داء، ســلوة لكل غريب، وشــرب لكل ظمئان، وزاد لكل مسافر حقا، انه ختام هذه السورة لهو حجر، وسور، ونور، وسرور، وهو قوله تعالى: {**فَسَــبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّــاجِدِينَ○ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**(٩٨)}، في ســورة الرعد كانوا هناك ســجدة العظمة والهيبة والخشية والعظمة، اما في سورة الحجر فيها سجود المحبة والمؤانسة، والدقة والمحبة لله.

سورة المؤمنون

سورة يفوح من اسمها المسك والعنبر، اسمها يحفزنا للإمام، سورة المؤمنون سنسميها بسورة "**النعم الدقيقة**" التي لا يلتفت اليها الانسان، إنها سورة المقارنات، العواقب، التعريف برسول الله(صلى الله عليه واله).

ثم لما تتعمق اكثر فيها تجدها سورة الانسان العادي! هي السورة التي تتحدث عن الانسان العادي، ليس الخارق، ولا الأعجوبة ويا لها من وقفة اولى على مشارف تأملنا في بداية هذه السورة.

الوقفة الاولى: غاية السورة صناعة انسان عادي مفلح

اذا تأملتم في هذه السورة ستجدون قبلها سورة الحج، السورة التي ركزت على الانسان الاستثنائي، على بناء القواعد، ركزت على البناء، بينما سورة المؤمنون ركزت على الانسان العادي الذي لا يتم البناء الا به. اهتمت بهذا الانسان اهتمام بليغ، وكأنها تريد أن تقول لنا: العاديون هم الذين يصنعون المتميزين.

الكل يحدثك على كيفية أن تكون مبدع، متميز، عملاق، خارق، هؤلاء هم القلة، الا إن الله تعالى يفاجئنا بهذه السورة التي تريد منا من خلالها الحديث عن الانسان العادي، الانسان الذي نسى وأُهمل وزُكن جانباً، الانسان الذي تكمن اهميته في إنه إنسان عادي، وعادي هنا ليس بمعنى إستصغار شئنه، او تهميشه، بل عادي بمعنى أنه يُنشأ ويُنتج، يثمر، ولكن بطريقة التي يريدها الله سبحانه.

الشخص العادي هدف الرسالات، الانبياء، الدين، المعرفة، الفلسفات، والهدف الاساسي لكل زمان ومكان، ولكل شريعة ودين والذي لأجله جاء الانسان الذي نراه غير عادي.

عندما تقرأ سورة المؤمنون يفاجئك الله جل وعلا ب(قد) التحقيقية التي لا تردد فيها، ولا تزلزل فيها، لا تراجع ولا شك، ولا ريب، قال تعالى: {**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**(١)}، ستتوقع منها مجموعة من المهام

الصعبة، والصعوبات العزيزة النادرة، ستتوقع إنه سيتكلم عما تسمعه عن الصالحين، انهم يصلون الف ركعة في الليل، يتصدقون بكل ما لهم، يخرجون من كل ما يملكون، او يناصفون الفقراء اموالهم، يصوموا السنة كلها، او من العلماء الذين يقظون عمرهم بالعلم والتعلم، او من اصحاب المجاهدات العظيمة الدقيقة، وغيرها من المقامات التي تُطلب من العباد الصالحين، لكن السورة تفاجئنا بمجموعة طلبات الكل يقدر عليها، قال تعالى: {**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ○ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ○ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ○ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ○ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ○ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ○ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ○ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**(٢-١١)}

انظروا الى هذه المطالب التي تحدثت عنها آيات سورة المؤمنون: خشوع في الصلاة، محافظة، مداومة عليها، اعراض عن اللغو والتفاهات، زكاة، عفة، امانة، وهذه الصفات ليست سهلة لكنها ليست خارقة ولا مستحيلة، ممكن لنا جميعا تحصيلها، أن نكون هم هؤلاء الذين افلحوا.

تعالى في هذه السـورة يضـرب لنا مثل جميل عن تنظيم العلائق لكن بدقة وإبرام، وصحة في العلاقة بين العبد وربه من خلال الصلاة، ودقة وابرام وصحة في العلاقات بين العبد ومجتمعه من خلال الزكاة والنفقة، ودقة وابرام وتوجيه دقيق في علاقات الانسـان مع النظام الاجتماعي الذي يحيط به(قضـية العهد)، هكذا ينظم الله تعالى الانسـان العادي في هذه السورة

الوقفة الثانية: عجائب في السورة

(١)

العجيب، بل العجيب جدا والغريب إن السـورة بينت لنا ان سـبب عدم ايمان الذين كفروا بالأنبياء السـابقين في هذه السـورة، كفروا لانهم كانوا يرون أن الانبياء أناس عاديين -بنظرتهم لهذا المفهوم- انهم بشـر مثلهم فلا تمايز بينهم ليكونوا انبياء ورسـل! عجيب هذه الدقة في هذه السورة لأنها تضرب على وتر حساس سنقف عنده بشكل دقيق.

فلما تحدث قوم نوح(عليه السـلام) عن نبيهم في قوله تعالى: {**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَـرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّـلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَـاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ**(٢٤)}.

نفس العبارة قالوها لصالح(عليه السلام) اية: {**وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ**(٣٤)}، ونفسها قالها بنو اسرائيل في اية: {**فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ**(٤٧)}.

المشكلة التي يراد معالجتها عبر آيات هذه السورة، هي عندما ينظر الانسان لنفسه إنه انسان غير عادي، وإنه الانسان الخارق هذه المشكلة هي التي جعلت كثير من الناس لا يتحملون اخطاءهم ولا يتحملون الدعوة ووجود الدعاة لتجمل وتصحح اخطاءهم.

(٢)

العجيبة الاخرى أن الذين ضلوا عن الطريق في هذه السورة هم اناس عاديين، هذه السورة لم تذكر الكبار بل ذكرت المجتمع، لم تقل قال فرعون، هامان ابدا! ذكرت خطابات اجتماعية من المجتمع عادي ممن لم يؤمن بأنبيائهم لأنهم يرونهم عاديون، فضلوا ضلال بعيد عن الله تعالى، رغم انهم هم العاديون، وليسوا حكام او ملوك او سلاطين، كما تبين هذه الآية، بقوله: {**قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ**(١٠٦)}

لم ترد الآية بلسان مقال الغير بل هم قالوا، وعرفوا احوالهم (الذين اهتدوا، الذين افلحوا)، هم المؤمنون، انهم عاديين، والذين ظلموا ضلال بعيد كانوا اناس عاديين (لكنهم يرون انفسهم غير ذلك).

(٣)

الجميل والعجيب في هذه السورة ختام الآية{**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**()}، هذه عن اي شيء تتحدث؟ جاءت تتكلم ليس عن انبياء او صلحاء او خوارق، شخصيات متميزين، بل عن خلقة الانسان، كما في قوله تعالى:{**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ○ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ○ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(١٢-١٤)**}، تقول هذه الآية إن الكل جميل، حَسن، بما إن الله خلقهم فهم جميليين، وبأحسن تقويم، احسن صورة، الكل جميل ما دام الخالق هو الله تعالى، رغم إنه عادي، العادي الجميل.

(٤)

اما كيف تبين هذه السورة سُبل بناء الانسان العادي، وكيفية تكريمه؟ كيف يتعامل الله تعالى مع الانسان العادي، الذي يستهزأ به الناس

لانهم يرونه عادي، كما في قوله: {**إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**(١٠٩)} اما رد الناس عند سماع قولهم هذا؟ تقول الآية {**فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا**(١١٠)}، اي استهزئوا، واستخفوا فيهم، استهزئوا بهم، ولشدة انشغالهم بهذه الافعال تعالى يقول: {**حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ**(١١٠)}، اما تعالى فقد دافع عن هؤلاء المؤمنين العاديين، تعالى يحاكي دعاء هؤلاء المؤمنين العاديين، فيثبت الدعاء ويخلده ويأمرنا أن ندعوا به كما في اخر سورة المؤمنين، بقوله: {**وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**(١١٨)}، تعالى يأمر النبي امر ثابتا جازما، وكأنه سبحانه يقول: هم عاديون، غير معروفين، لكن سأخلد دعائهم، سأجعله معروفا الى ابد الابدين، فالإنسان العادي عند الله تعالى ثمين.

(٥)

إن سورة المؤمنون حصرت بين ثبات ونفي، بين عبارتين لفئتين عاديتين ليستا متميزتين الا بما ميزه الله تعالى، إذ ابتدأت السورة {**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**(١)}، هذا ثبات، وبماذا اختمت {**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**(١١٧)}، هذا نفي.

إذ انحدرت منه قصص كثيرة وروايات غزيرة ومسارات وطرق وطرائق، وسبل وصراط والام وابتلاءات، فنحن نرى الثمرة (قد افلح المؤمنون)، بإعطاء مجموعة صفات، وهم يرون خطورة آية (لا يفلح الكافرون)، وتعالى يرينا الفلاح من عدمه على اثر مجموعة ممارسات، عندما تتأمل في هذين الامرين النفي من هنا، والاثبات من هناك.

يتبين لنا قصة الانسان بين (لا اله) وبين (الا الله)، بين النفي لغير الله اله، وبين اثبات الهيته وحده.

(٦)

الفردوس هذا المقام العظيم من الجنة، التي تصفه الروايات بأوصاف عجيبة، ذكر في القرآن مرتين، في (سورة الكهف:{**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**}(الكهف:١٠٧)، وسورة المؤمنون بقوله:{**الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**(١١)} في كلا الموضعين ذكرهما مردفتين مع الايمان والعمل الصالح، لم تذكر معه صفة اخرى.

وكأن الله تعالى يريد أن يقول لنا: إن العمل الصالح المرتكز على الايمان يعني انتاج، انفاق، بذل، بناء، تعمير، هذا شيء جيد لكن لابد أن يرتكز على الايمان.

والايمان بالله واليوم الاخر، بالمقدســـات، لابد أن يرتكز على العمل الصالح، ايمان بلا عمل صالح، وعمل بلا ايمان لا يوصل لفردوس رب العباد، وهذه ركيزة دقيقة عندما يتكلم عن الفردوس لأنه المقام الاعلى كما تعبر الروايات.

(٧)

سورة المؤمنون عرفت النبي بتعاريف مختلفة وعجيبة، لم ارى سورة تعرفه صلى الله عليه واله) بهذا الشكل:

عرفته بتعريف استنكاري، بصيغة مختلفة ما اعتاد عليها القران الكريم. بقوله: {**أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُـــولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ**(٦٩)}، قالت الآية (يعرفوا) وليس(يعلموا) هـذه اول نقطـة إنهـا تكلمـت عن المعرفـة النورانيـة، لانهم لا يملكون النور الـذي من خلالـه يعرفون النبي، هم يعرفون اسمه، رسمه، اصــله، نســبه، لكن لا يعرفون من هو –ظاهرت حقيقته– لذلك يتهمون آنه يحابي مرة ويجامل مرة اخرى! يقرب من يقرب، حتى وصلوا الى درجة اتهامه بالأنانية!!.

ثم لما لم يعرفوه انكروه، والانكار هنا ليس للنبي صلى الله عليه واله) بل لما قام به النبي (صــلى الله عليه واله) لما ســد الابواب الا باب الامام علي(عليه الســلام)، مع انه قال لهم: لم يكن الامر من عندي انما من السماء.

****

قال تعالى: {**أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**(٧٠)}، ذكرت تعرف دقيق للنبي (صلى الله عليه واله) الجِنَّة هنا ليس لان النبي (صلى الله عليه واله) حاشاه إنه يتصرف تصرفات غير عقلانية! بل لانهم كانوا يرون إن اتباعه قد جنوا به، غراما واعجابا، عندما يرونهم كيف يلقون بأنفسهم بين يديه، وفي رواية لأنه مجنون بحب الله تعالى، فيقوم بكل ذلك، فلا يتراجع، او ينثني، ولا يترك طريقه.

هنا رب العالمين بدأ يتكلم عن علل لمَ هم لمَ يرونه هكذا، وهذا تعريف دقيق اخر للنبي وهو إنهم حتى عندما كرهوا النبي لم يكره لذاته، لا لشيء فيه بل للحق الذي اتى به، فالنبي لا يكره لذاته بجماله، بنورانيته.

****

ثم عرف بتعرف اخر دقيق وفيه تنزيه، بقوله تعالى: {**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**(٧١)}، وهي تعرف النبي بتعريف تنزيهي، أن النبي ابدا لم يتبع اهوائهم ولو بدقة، بدقيقة.

****

ثم عرفه بأنه ذكرى، بقوله: {**بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ**(٧١)}.

****

ثم يعرفه لقوله: {**أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**(٧٢)} بالترفيع، التقديس للنبي، وما اجمله والطفه من تعريف انت في داخلك، في وجودك، لم تسالهم ابدا، لان خراج ربك خير عندك.

****

ثم تقول الآية: {**وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**(٧٣)}، سبحان الله دائما ما تختم به السور يكون هو ذكر الامام علي(عليه السلام).

الوقفة الثالثة: شكل وصورة السورة

اذا اردنا أن نرسمها ستكون عبارة عن مجتمع طيب، بسيط، يحيطون ببعض، بيوتهم قريبة من بعض، يتزاورون، يتشاورون، يصلون معا، احدهم يسال ويتفقد الاخر، بينهم تكافل وتواصل قائم على الطيب

والمودة، ليس فيهم حقد ولا حسد ولا كره، مستمرين على صلاتهم، عباداتهم، لديهم توجه الى الله وخشـــوع، في منطقة صـــغيره اسمها (افلح)، كل اللذين بها متوجهين الى الله بين فترة واخرى، ثم يعرض عليهم عارض من هنا وهناك تدخلهم بعض المنغصات، تدخل عليهم بعض الابتلاءات يبقون الى النهاية سائرون في الطريق مع الله،

الوقفة الرابعة: ختام السورة

قال تعالى: {**وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**(١١٨)}، لماذا جمع المغفرة والرحمة؟ لان المغفرة تكون لما مضى، والرحمة تكون لما هو اتي، فبالمغفرة نطهر، وبالرحمة نتنور، ونحن نسير الى ارحم الراحمين.

سورة الكهف

نستطيع أن نسمي سورة الكهف بسورة "**التربية والتعليم والتأديب**"، هي سورة الفات نظر الإنسان الى طريقه بطرق مختلفة، اساليب مؤتلفة.

لو أن الانسان اراد أن يُلهم الادب والتربية والمنن الالهية القديمة عليه أن يلتفت الى سورة الكهف، لأنها بحق مؤدبة ومعلمة ومهذبة، هي بحق اسم على مسمى، هي كهف للباحثين عن تهذيب انفسهم، تثبيت ملكاتهم، تنقية سجاياهم، فهي بحق كهف، كهف عظيم، قويم، يستطيع من خلاله الانسان أن يرتقي الى مراتب عالية من العلاقة بالله سبحانه وتعالى.

الوقفة الاولى: بماذا تبدأ السورة؟

تبدأ السورة بالنذر والانذار العتيد، والتنبيه القوي لكل المرتبطين بالحق، والمرتبطين بالباطل، ومن ثم تعرج لمواساة النبي (صلى الله عليه واله)، فهي تتحدث عن حزن عميق دفين في قلب النبي (صلى الله عليه واله)، وتواسيه وترفع من الامه.

وهذا ذكرت ثلاث اصناف من احزانه التي كان يعيشها النبي وهو (وهذا اجمل ما تتحدث عنه السورة):

١. الحزن الرسالي على من لم يهتدوا، لم يلجئوا بالله تعالى، ولم يستجيبوا لرسالات الله ونذره.

٢. الحزن المسؤول على من تقاعسوا بعد أن اهتدوا، ولم يتحركوا، ولم ينفروا، ولم تكن لهم الهمة العالية.

٣. الحزن الأبوي على من اوذوا بجواره، ووقع عليهم الحيف، والغيض من الذين كفروا.

جمال في السورة أن الله تعالى لم يلم النبي(صلى الله عليه واله) ولم يمنعه من الحزن بل اجاب بإجابات جميلة، كأن الله تعالى يعلق تعليق جميل على النبي(صلى الله عليه واله) وهو أن غفلتهم، ابتعادهم، عنادهم لا يستمر؛ سيأتي يوم من الايام ويهتدوا ويثمرون.

كذلك عداء الاخرين الذين يؤذون المؤمنون ويجرحوهم، سيأتي يوم من الأيام وتنتهي هذه المرحلة، وتنقشع الدنيا بما فيها، كذلك الحزن على من يتباطؤون ويتثاقلون هم في يوم من الايام تأتيهم الخشعة، الهمة من الله تعالى.

الوقفة الثانية: اربع قصص مفصلية

هذه القصص نستطيع أن نسميها بالهيكلية الكاملة للمجتمع بشكل عام سواء كان مرتبط بالله تعالى ام لا؟

القصة الاولى: القرار والفرار

قصة اهل الكهف هذه القصة الاستراتيجية هي تبين مفصل القرار بالثبات بالفرار لكن ليس الفرار الى النفس او الناس بل الفرار الى الله تعالى، قرار بالثبات وفرار الى المثبت وهو الله سبحانه.

فائدة:

(خماسية الانسان المفلح والامة المؤثرة)

قصة اهل الكهف فيها مجموعة من الدروس الجليلة التي لابد أن نتوقف عندها درسا...درسا:

اولا: إن الكهف الحقيقي ليس ذلك الكهف الذي يلجئ اليه الفتية، إنما ذلك هو الكهف الإعتيادي، بينا الكهف الحقيقي هو الايمان في زمن الكفر، الثبات في زمن الاستضعاف.

لو لم يكن لأصـــحاب الكهف(كهف معنوي) لما لجئوا الى الكهف المادي واتقوا الله سبحانه (لذا تريد سكن تسكن فيه، فليكن لديك سـكينة تسـكن اليها، تريد مال تتمتع به، فلتكن لديك بركة من الله تحيط بك، تريد شباب تنجز به فليكن لديك قوة عفاف، كل شيء مادي، كل كهف مادي يسبقه كهف معنوي، هذا اهم الدروس).

فما اكثر الكهوف التي اوى اليها الناس، وهدمت عليهم، ماتوا فيها وانتهوا، لا تتصـــورون أن هؤلاء الفتية فقط هم الذين اووا في الكهف في التاريخ، فكم من فتى، شاب، رجل، امرأة، اووا الى الكهف، لكنهم لم ينجوا لانهم لم يكن لديهم الكهف الإيماني.

قال تعالى: {**فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُـــرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا**}، اذن اول درس الكهف الذي تتحدث عنه هذه الســـورة هو ليس الكهف المادي، اذ إنها لم تذكر الكهف بمعناه المادي الا مرة او مرتين، انما القصة تتحدث عن الكهف المعنوي.

*****

ثانيا: الكهف مع الايمان جنة، والارض الواسعة مع الكفر سجنا غريبا، فهذا المعنى غريب وحبيب. قال تعالى:{**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ**(١٦)}، هذه المطالب وهذا المستوى من التفكير والطلب الالهي لا يوحي ابدا إنهم في كهف بل وكأنهم في قصر او جنة غناء!

تدل على اناس يعيشون في مكان هم مرتاحين فيه ومستأنسين به، فكلمة (**لَدُنْكَ**) أخص من(عندك) لأنهم علموا أن الكهف مع الله تعالى جنة، بينما عندما تحدثوا وهم في الارض الواسعة(خارج الكهف) الخالية من الايمان المليئة بالكفران(مع):{**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**(٢٠)}

في الكهف تكلموا بكل رغد، اما خارجه فتكلموا بهذه الخيفة والخفية، اذن الدرس يقول لنا: ابحث عن الملاذ الإيماني قبل الملاذ المادي، إجعل قاعدتك في الحياة(وطني ايماني)، فالوطن الذي ليس فيه ايمان وذكر الرحمن إنما هو سجن في حق وحقيقة.

*****

ثالثا: هذا الدرس اكتبوه في قلوبكم: [إن الدين يحمل على الاكتاف الرجال وليس الرجال تُحمل على اكتاف الدين]، فالدين نحمله على اكتافنا نتعب من اجله، نشـــقى من اجله، نؤذى من اجله، وليس العكس، ليس الدين يحملنا على ظهره، نملك به، نرتاح به، نكبر به، نصعد به، نفنى به.

اصـــحاب الكهف طبقوا هذه القاعدة، رغم انهم كانوا وزراء، امراء، لديهم غنى وطاقة ووجاهة، ومن سلالة الملوك الا إنهم لما رأوا أن الدين مستصرخهم ما ركبوا عليه، بل وضعوه على اكتافهم ونجوا به.

*****

رابعاً: إن الصـحبة الصـالحة ليسـت حالة ترفيه ترفيهية او ترويحية بأن يتعرف احد على الاخر، تتكون بينهم علاقات سطحية، ليست هذه الصـــحبة بل إن الصـــحبة الصـــالحة من اهم دعائم الايمان وتثبيت الاركان، وتقوية العقيدة على العدوان.

الصـحبة الصـالحة ليسـت ضـحكة هنا ثم افتراق هناك، مسـامرة هنا ومسايرة هناك، إنما هي صحبة مبنية على الصاحب الذي لا يخذل.

اذا اردتم لصـحبتكم أن تُكونوا صـحبة طيبة اصـحبوا بعظكم بصـحبة الهية، يعني أن يكون الله تعالى هو أصـــل بناء تلك العلاقات، هذا درس قويم لان في زماننا الصحبة أصبحت ليس لها قيمة عالية.

لذا ممكن نجد فتى مؤمن متدين جدا لكنه يمشي مع فتيه غير متدينين لمدة طويلة وتطول اعوام، لكنه فشل بإستثمار صحبته هذه!!

اصحاب الكهف فتية امنوا، لذا ترى أن اعدادهم، اسمائهم اعمارهم، اشكالهم مجهولة، لان الله تعالى يريد أن يركز فينا هذا الدرس وهو اهمية الصحبة الصالحة بغض النظر عن الاعتبارات الاخرى، والفوارق الاخرى، بل إنها اعمق من ذلك واجل وادق واكمل وارق، حتى الكلب لما صحب المؤمنين نَبُل وشرف وثبت وخلد وذكر في اعظم كتاب(كتاب ينطق به الله سبحانه).

لذلك في سورة الكهف قالت الآية{**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**(٢٨)}، اي ابق معهم، اصبر معهم، فهذا الدرس مهم جدا.

*****

خامساً: إن الاستضعاف شيء والضعف شيء اخر، القلة شيء واللا موقف شيء اخر، فليس كل مستضعف ضعيف، وليس كل جماعة قليلة ليس لديها موقف، كلا! فأصحاب الكهف ضربوا لنا هذا المثال الرائع مثال الاستضعاف الذي لا يمنع الأنسان من الثبات على الحق، بل لا يمنع الانسان من بيان موقفه، لا يمنع الانسان من أن يرى لديه القدرة على تغيير مصير مجتمع كامل-كما فعل اصحاب الكهف-

لان اصـــحاب الكهف امنوا بهذه الآية{**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا**(٢٧)}، فالإنســـان اين يذهب لابد أن يكون لديه موقف مع الله تعالى، هذه خلاصة قصة اصحاب الكهف.

القصة الثانية:(الملكات النفسية الفاسدة)

قصة صاحب الجنتين، ومسالة العجب والطغيان، هي قصة تتجلى بها مقولة الله تعالى: {**كَلَّا إِنَّ الْإِنسَـــانَ لَيَطْغَى○ أَن رَّآهُ اسْـــتَغْنَى**} (العلق:٦-٧)، هي عبارة عن ملمح ســـريع ودقيق لما يعيشـــه العالم الان، من عجب وغرور من خلال ما يملك من جنان عامرة على مستوى الارض.

دروس من قصة صاحب الجنتين

صاحب الجنتين الذي اغتر بماله، نرى إنه اكثر مالا وولدا، وألانك من ذلك والاصـعب إنه رآى إنه اكبر من قيمته! وهذه المشـكلة التي يقع فيها حتى ابناءنا المتدينين. لذا اياك...اياك اذا لم تكونوا من ذوي المال الكثير أن تروا إنكم اقل من غيركم لان الذي يملك المال، يرى أنه أفضل من غيره.

لابد أن لا يقع الانسان بهذا الخطأ(اختلاف الميزان بإختلاف الاركان) فإن اختلف الميزان فصـــرنا نقيم الحق من الباطل بمقياس القوة والمكنة الخارجية، على ما يملك، فهذه قصة ذو الجنتين.

(م. راجعوا القصة في التفاسير خصوصا الامثل والبرهان)

فائدة:

خماسية اختلال الميزان باختلال الاركان

اولا: تبين لنا هذه القصـــة مقياس الغنى، فالحق لا يوزن بميزان ذهبي والحكم للحق بالقيم، والقيم قمم، والقمم لا توزن اذ ينظر اليها على أنها قمم شامخة عالية مرتبطة بالله تعالى.

فأولى دروس هذه القصـة اذا كنت فقير، غني، ضـعيف لا تقس وفق ذلك لان ذلك يعطي لمن له علاقه به، ولمن لا علاقة له بالله تعالى.

*****

ثانيا: إن العاقبة ليست للأقوى بل للأنقى، ذو البصيرة، التواضع، ذي النظرة الثاقبة، للذي يركن لنعمه، وإن كانت قليلة الى الله تعالى ويسندها الى الله تعالى، هذه القصة تكشف لنا من هو الغني ومن هو الفقير، ف[الفقير هو الغني الذي ينســـب غناه لنفســـه، والغني هو الفقير الذي ينسب غناه والنعم التي عنده الى الله جل وعلا].

*****

ثالثا: الغرور ليست صفة رذائلية مرتبطة بالقلب، فيظلم القلب او إن القلب يسود، بل الغرور صفة قاتلة، اية غريبة ومخيفة جدا، قال تعالى: {**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ**(٣٥)}وهذا الخطاب يذكرنا بخطاب حكام هذا العالم، كلهم ينادون نفطنا لا ينفذ، قوتنا لا حد لها، رصيدنا لا ينفذ من يقدر علينا؟! من يتمكن من هزيمتنا، من يقوى على أن يهزم اقتصادنا، وميزانياتنا، أليس هذا هو شعار الزعماء، قبل الكورونا، كل الزعماء المزيفون هذا هو شعارهم{**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ**}.

*****

رابعا: بَلِغ مهما كان صاحبك مغرورا، انصح/ ذكر/ علم/ بصر/ لا تقل إنه مغرور لا يستمع الي، ولا يصغي لكلماتي، فلعله يستفد، والا إن لم يستفد فإن كلامك معه موعظة لك قبل أن تكون له.

الانسان صاحب الرسالة والمشروع لا يتكلم وينظر لمن يتكلم معه فينظر لمن يكون اولا بل ينظر لنفسه، هل ادى تكليفه ام لا؟ ادى مسؤوليته ام لا؟

لذا قال: {**وَهُوَ يُحَاوِرُهُ** }، وقالت يحاوره لم تقل يناقشه، يعظه، يهديه، اشارة الى اسلوب من اساليب ايصال الحق، في حين إن الذي تتكلم عنه الآيات هو المغرور الذي يرى نفســـه إنه اقوى من أن تباد جنته، الذي يرى أنه اكبر من ربه بطغيانه، كما قالت الآية: {**صَـاحِبُهُ**}، مع إنه لا يمثل توجه.

*****

خامســـا: الكفر والطغيان والظلم والعدوان ليس فقط يخرب الجنة المادية، اقتصاد انحدرت، وارض فسدت، فهو لم يخرب جنته في الدنيا، بل هو خرب الجنة العلوية، لكن الناس تنظر الى الجانب الاول فقط، ففي الحديث: [لا يدخل الجنة احد وفي قلبه ذرة كبر].

القصة الثالثة: الصبر والبصيرة

قصة الخضر(عليه السلام) والصبر والبصيرة التي تكتنفان هذه القصة، هي عبارة عن علاجات عملية لكل من يريد أن يسلك طريق النجاح الدنيوي، او الفلاح الاخروي، فأنه لابد أن يتسلح بهذين السلاحين الموجودين في قصة الخضر[الصبر (على)، البصيرة (ب)].

اذا اردت أن تتحدث عن الصبر فضع (على)، وانت ضع في (على) كل ما تريد، واذا اردت أن تتحدث عن البصيرة فضع (ب)، وانت ضع في الباء كل ما يخفى على الانسان ودنى.

فائدة:

خماسية اعطي القيادة للقلب لا للعقل

اولاً: العقل احيانا لا يستطيع، لا يتسع، لا يتحمل، نعم يستطيع أن يستجيب لكن تبقى المسالة مسالة بصيرة.

مسالة القلب/الفؤاد، هذه مشكلة الكثير من الناس بالخصوص الشباب، في بعض الاحيان يريد أن يناقش كل شيء بعقله، او بقلبه، فعندما يتحدث عن اخطاء البعض وتناقشه، إن كان يتحكم بالعقل تراه يتعصب للجهة التي ينتمي اليها فلا يرى اخطاءها فيدافع عنها، وينصرها، رغم اخطاءها، وعندما تتحدث معه عن ايجابيات من يختلف معهم، يناقشهم بقلبه، فلا يرى ايجابياتهم، لان قلبه مملوء بالحقد عليهم.

وهكذا عندما تأتي ببعض ما يرتبط بالايمانيات، يريد أن يناقش الصلاة بالعقل لم صلاة الصبح ركعتان، ووو..الى اخره، هو يريد فهم كل شيء بالعقل فيقع بالجفاف، فلا يستوعب شيء من الالطاف،

لذا هذه قصـــة من قصـــص العجائب والغرائب للأقدار الالهية التي تسيطر على كل شيء.

فمهما تطور عقل الانســان/ علم الانســان/ فكره/ تنظيره/ فإنه يبقى لديه سر عظيم اسمه تقدير الله/حكمة الله/تيسير الله للأمور.

العقـل دائمـا هـذا هو شـــعـاره{**قَـالَ إِنَّـكَ لَنْ تَسْـــتَطِيعَ مَعِيَ صَـبْرًا**(٦٧)}، لذا تحتاج أن تركن الى العقل، وتعتمد على القلب، في بعض الاحيان هنا يتوقف الانســان امام عظمة ســر الله تعالى، الحياة المرتبطة بالله تعالى المليئة بالأســـرار، يحتاج الانســـان أن ينظر اليها بإعتزاز، بإنتماء، بإبتهاج، لا أن تنظر اليها على اساس إنها مجهولات.

لذا دائما علينا أن نفرق بين العلم بالغيب، والعمل بالغيب، احيانا البعض يريد ان يعلم الغيب، والحقيقة إن الله تعالى لا يريدنا أن [**نعلم الغيب**]، بل يريدنا أن [**نعمل بالغيب**]، يعني نعلم أن في الصـــلاة جانب غيبي قد لا نصل اليه، لكن علينا ان نعمل به، في الصوم غيب لا نعلم به، لكن نعمل به، نتصل به، هذه نقطة جدا مهمة.

*****

ثانياً: الطمأنينة؛ إذ ستقابلك في حياتك سفن كثيرة، ستعود لك، او لأصـــدقائك او المقربين او لأبنائك او لأناس تعتز بهم ســـتخرق امام

عينك، فلا تبتأس وتشـــعر أنك خســـرت، ربما هذا هو الربح وليس الخسارة، لذا [لا تنكر قدرته، ولا تقديره، ولا قَدره].

في كثير من الاحيان بعض السـفن التي تخرق في حياتنا هي في الحقيقة لم تخرق بل اصـــلحت وحُفظت وحمية لنا، تلك الخطبة التي لم تتم لك ايها الشاب ثم تزوجت من غيرها هي سفينة خرقت لكي تحافظ على قلبك، ذلك الشـاب الذي تقدم لكِ وأحببته، وتأملت الارتباط به ثم لم يتم الارتباط هذه ســـفينة خرقها تعالى لك حتى يحافظ عل طهارة قلبك.

تلك الوظيفة التي خرقها تعالى ولم يتم حصـــولك عليها، حتى يبقي جيبك نظيف، ذلك المال الذي لم يصـل اليك، السـفن كثيرة والخروق كبيرة والفوائد كثيرة.

*****

ثالثاً: قال تعالى: {**رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ**(٨٢)}، في كل شيء تحرى رحمة من عند ربك، في كل ما تنكر، كل مرض، عســـر، فقر، عثرة، ابحث عن الرحمة وهي التي لابد أن تصـــل اليها، وتقف عندها، لم يقل ما فعلته بتعقلي بل هو امر الله ســـبحانه عملت به، بقوله تعالى: {**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**(٨٢)}.

وهنا قالت الآية(تسطع)، وليس(تستطيع)لان الانسان فضولي دائما، يريد أن يبحث عن الاشياء الغير مفسرة وليس المفسرة.

لذا ابحث عن الرحمة وليس الاشياء التي لا تفسير لها، او لم يصل الينا فيها تفسير، مثلا الصلاة بعض ابنائنا وبناتنا لديهم الصلاة رحمة كاملة، لم يصلوا للخشوع، هم يفكرون بالخشوع وينسون الصلاة، فيبتلون بالحزن، الغم، الهم، رغم انهم يُصلون، لانهم ركزوا على المفقود ولم يركزوا على الموجود، هذه ثمرة مهمة من هذه القصة في سورة الكهف.

*****

رابعاً: في قوله تعالى: {**مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**(٧٨)}، يتبين لنت إن في البداية النجاة للمسرعين وفي النهاية النجاة للصابرين(مع الصابرين)، فإن سبب مفارقة الخضر لموسى (عليهما السلام) هو هذه النقطة.

لذا اذا اردت أن ترافق الخير سواء كان شخص عالم او حتى صاحب العصر، لابد أن يكون لديك صبر، فهناك فرق بين الجزع من الانتظار وبين الوجع من الانتظار، لا بئس أن تكون من المتوجعين لكن لا تكن من الجازعين،ف الذي يصبر على الانتظار لا يعني إنه لا يتوجع، ولكن بنفس الوقت لا يعني انه يجزع، غالجازعون لا يستمرون.

*****

خامساً: الخضر ليس نبي وموسى(عليهما السلام) نبي ومن اولي العزم، الخضـــر لم يذكر الا مرات عديدة، لكن موســـى ذكر في كل القرآن الكريم تقريباً، الرسالة هنا إن المسألة ليست في الاسماء ولا بالألقاب، انما بتمكين الله سبحانه وتعالى، استاذك قد يكون انسان بسيط، لكن لديه مفاتيح من مفاتيح الله تعالى، هذه نقطة مهمة لا تنظر الى الاعتبارات الخارجية، بل انظر للاعتبارات الالهية التي تميزك.

فائدة مهمة

في سورة الكهف ذكرت كلمت(رحمة) وفي سورة مريم ذكرت(رحمت) بالتاء المبسوطة، نذكر فارق دقيق بينهما هو أن رحمت تأتي بعد قبض وضيق وعسر، وصبر، يعني حَلت، اما(رحمة) فهي الرحمة مرجوة، رحمة الله التي ارتجيها.

اذن رحمت تأتي بعد الشدة والعسر والضيق، ورحمة بعد الاعمال الطيبة كالعبادة.

*****

القصة الرابعة: الحاكم العادل

قصة ذي القرنين قصة الحاكم العادل، قصة المؤمن القوي، الانسان الصالح، قصة الوراثة، التمكين، قصة أن يملك ومن ثم لا يملك، يملك

السيطرة على الناس، يملك السيطرة على نفسه من أن تصبح مملوكة، لا مالكة، قصـــة الحاكم العادل الذي يدل الناس على الله تعالى، لا ينفرهم من الله تعالى جل وعلا.

دروس من قصة ذي القرنين

قصـة ذي القرنين قصـة الاصـلاح، استعمال المنصـب لله، استعمار الارض لله تعالى، الشـــخصـــية القوية مع الله وليس بالابتعاد عن الله تعالى، قصة(اصلاح الفرد وإستصلاح المجتمع).

فائدة:

خماسية استصلاح الارض

اولاً: اذا مكنك الله تعالى بمنصـب اداري، مسـؤولية، اصـبحت غني، وجيه، فأعلم إن هناك ضـــريبة وغاية ورســـالة بعد أن تحصـــل على مكانتك، منصبك، ابحث عن رسالتك، مسؤوليتك، عن الغاية، عن دفع الضـــريبة، قال تعالى:{**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ○ فَأَتْبَعَ سَبَبًا**(٨٤-٨٥)}، نحن مكنا وجعلناه يعمل بما نريد، ولم يقصـــد ولم يشـــكل (لم يعدنا ثم اخلف)، الله ســـيمكننا اقل شـــــيء يمكننا على ابنائنا، الام، الاب، والاخوة، فلكل واحد مكنة الهية، فلنرى كيف نتعامل مع المكنة؟

*****

ثانياً: إن الله معك، ناصـــرك، يمدك، يعطيك، يده فوق يدك، محيط بك، ولكن إن اردت النصر، فهيئ الاسباب الطبيعية الخارجية(**فَأَتْبَعَ سَـــبَبًـا**)، وكـمـا نقرا بقولـه:{**وَمَن يَتَوَكَّـلْ عَلَى اللَّهِ فَـهُوَ حَسْبُهُ**}(الطلاق:٣)، وقوله:{**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ**}(محمد:٧)، وقوله:{**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**}(الطلاق:٢).

إذ أن النصر ليس مرتبط بالأسباب بل بإتباع الاسباب، لدينا مؤمنات يردن أن يكونَّ عوائل بإيمانهن فقط، دون دراســة، دون اســتفســار، قراءة، تقوية الذات والشـــخصـــية، لدينا مؤمنين يريدون أن يؤثروا بأصـــدقائهم بإيمانهم فقط، دون ان يتطوروا، يتطلعوا، وهذا امر غير ممكن، فهذه قصة ذي القرنين تعطينا هذا الدرس المهم.

*****

ثالثاً: البراء والولاء ليست حزبية، ولا جهوية، ولا نسبية ولا مناطقية، او قومية، انما هما معتمدة على المواقف المرتبطة بالله ســبحانه وتعالى، ما هو بيني وبينك من خلال حدود الله تعالى.

قال تعالى:{**قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَـوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ○ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَـــالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْـــنَىٰ**ۖ

وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا(٨٧)}، هاتين الآيتين اللتين تُثبت لدينا هذا المفهوم (مفهوم الولاء والبراء)المرتبطان بالله تعالى، وليس على اساس مقايضات ومجاملات تصنع الانتماء.

*****

رابعاً: لا تنتظر الفساد يهاجمك والباطل يدخل قريتك، والمنكر يغزوا بيتك، بل أنت هاجمه، قال تعالى:{**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**}(الأنبياء :١٨)، ما ينتظره الانسان القوي المرتبط بالله تعالى، ليس أن الباطل يثير الاشكالات ليرد عليها، او يبحث عن اجوبتها، المؤمن لا يضع نفسه بموقف الدفاع فقط، لأنه قد يكون موقف الضعف إن لم يكن مستعد للدفاع، بل يسلح نفسه قبل أن تهجم عليه الشبهة.

هو يبحث ويسعى عن مواطن الفساد من اجل أن يصلحها، ثم يأتيه النصر والفتح، قال تعالى:{**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**}(الفتح :١)، وقوله:{**إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** }(النصر :١).

*****

خامســـا: إن البعض قال سمي ذي القرنين لأنه يملك او يلبس خوذة فيها قرنين، والكلام جميل، والبعض يقول: انه سمي بذي القرنين لان بداية عمره في قرن ونهاية عمره في قرن اخر، لكن الامر ليس كذلك، فذو القرنين هو ذو الهمة العالية، والرحمة النامية، فهو ذو الشـــدة والرئفة، ذو الحزم واللين.

كان ذي القرنين يملك القوة بيده، والرئفة بيده الاخرى، كان يملك الجيش الجرار الذي تهتز الارض من تحت قدميه اذا مشـــى، ويملك القلب الخاشع لله تعالى.

هـذا معنى ذي القرنين قرن رجـاء وقرن خوف، الحزم واللين، القوة والتواضـــع، ففي كثير من الاحيان قلب كل واحد منا اما قوي بلا رحمة، او رحيم بلا قوة، اما شديد بلا لين او لين بلا شدة.

الوقفة الثالثة: رسم سورة الكهف

اول ما يتبادر في الذهن عندما نقرأ سورة الكهف هو وجود اربع رفاق تجالســهم وهم يحكون/يقصــون لك ما مر بهم من خذلان من جهة، ونكران من جهة اخرى، من عثرة وكسـرة من هناك، مصـيبة ومحنة من هنا.

فالأول يحكي لك قصته كيف استطاع ان ينجوا من الظلم والعدوان، باللجوء الى الرحمن، الثاني يحكي لك عن غرور صديقه الذي اودى بجنته فأحرقها، فحاوره ولم يستفد من محاورته، والثالث يتحدث عن تلك الصحبة الجميلة، لذلك المعلم الجليل، وكيف استفاد منه لكن لم يستطع عليه صبرا، ففارقه على مضض ووجع.

والرابع يقص لك تلك الاساطير العظيمة، والفتوحات الجسيمة، وكيف رد الباطل الى عقر داره، فسد على يأجوج ومأجوج ثغورهم، فتركهم يموجون ببعض.

فلب السورة فيها هو ارتقاب واصطبار، ترقب وانتظار، انكسار وانجبار، فيها استنفاع وانخفاض، اهوال واحوال تتغير وتتبدل.

الوقفة الرابعة: ختام السورة

وفي ختامها يأتي المسك بقوله تعالى: {**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**(١١٠)}.

سورة مريم

سورة الذكريات والقصص كلما ذكرت تهفو النفس اليها، سورة "**المعجزات والكرامات والعطيات**"، انها سورة "**صنع الابطال**".

سورة مريم هذه السورة حقا اذا تأملها الانسان يجدها رحمة مصبوبة، مشاعة، منشورة، رحمة كبيرة وواسعة، رحمة رحمانية، رحيميه، رحمة تحيط بالجميع، وبما انها سورة الرحمة فهي سورة صنع الابطال.

اذا اراد الشاب/ الشابة او اي أنسان وإنسانة أن تتحرك لديهم همة الابطال، تتحفز لديهم همة البطولة، فليداوموا على قراءتها، التأمل بها، السير معها، الاقتراب منها، بل هي تنفع حتى على مستوى الحياتي للطلبة(فترة الدراسة)، هي عبارة عن كورس كامل لتنمية الطاقات النفسية في داخل الشخصية.

الوقفة الاولى: الرحمة لب سورة مريم

إنها سورة الرحمة والشفقة، الرحمة الالهية في هذه السورة منشورة، منثورة.

في كل القصص من بدايتها الى نهايتها، بل حتى آيات الوعيد -كما سنبين- فيها رحمة وفيها كلمة الرحمن(فاسم الرحمن في كل القرآن ذكر ستة وخمسون مرة، فقط في سورة مريم ذكر ستة عشر مرة) اي اكثر من ربع ما ذكر في كل القران الكريم، وهذه اشارة عميقة، إن هناك رحمة دقيقة يجب أن يستشفها الانسان في هذه السورة.

سورة مريم سورة مليئة بآيات اللطف والعطف والشفقة والمحبة والود، تأملوا بهذه الآية وتلمسوها جيدا لان بها لب هذه السورة، وهي إنها تحيط بها ولاية الله تعالى، بالأهل، بالعيال، بالأولياء، وكأنها تحيط بهم من كل جانب.

الوقفة الثانية: رسم الصورة

سورة مريم عندما تقرأها وتتأمل وتتأنى بقراءتها، يتبادر في ذهنك هذه اللوحة: امهات جالسات من حول اطفال صغار، صغيرات، يبكين بين خوف ورعب وياس، وقنوط من قريب لا يعطف، غريب لا

يلطف، ويأس من الزمان والعالم، والتشرد والتشتت والتشمت، والكل عينه كيف يأخذ وينهب مالهم، وما لديهم.

في مثل هكذا حال يأتي حرف (الياء المشدد) وكأنه يد تشد على يد الامهات، وتقول لهن بصوت الرحمن: {**قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**(٢١)}، وكأنها هدهدت ام، تنهيدة ام لرضيعها الذي يخاف، وكأنها سلوى وسكينة للام التي بدأت تخاف على وليدها من كل ما يخوف ويُخشى، حرف الياء يعيد الامل والامن لكل من يسير بالله سبحانه وتعالى.

إذن تبين لنا بشكل السورة كيف لنا أن ننظر اليها، كلما اردنا قراءتها، وكما تبين هنا عبر طيات الكلام.

الوقفة الثالثة: بين الجمال والجلال

تبدا سورة مريم بالجمال، وتنتهي بالجلال، والجميل أن الجمال ينتهي بالياء، والجلال يبدأ بالألف-كما سنبين- رسالة الهية بالإنشداد والانتماء للياء هو الانتماء الى الله، والالف هي الف التأديب من الله تعالى، تبدأ سورة الرحمة بثبات الرجال والنساء على ايمانهم، وتنتهي بتزلزل الجبال، واي جبال!!

في لحظة القنوط، اليأس، جاءت آيات سـورة مريم، مطمئنة من جهة اخرى لقلب النبي (صـلى الله عليه واله)، ومن جهة لكل يأس من المؤمنين رغم إن الله تعالى هو المهيمن وهو المسـيطر، رب العالمين يبدأ يتحدث عن انقلابات لم تكن يتوقعها الناس، الناس ترى شيء وبلمح البصر يريهم تعالى شيء، عطاء زكريا الذي كان ميؤوس منه، وتشريف يحيا، ومواسـاة مريم، ومباركة عيسـى، وابدال ابراهيم بأهل خير من اهله، تقريب موسـى، وتأييده بهارون، ورضـوانا لإسماعيل، ورفعه لإدريس، كأن الله تعالى في هذه السورة يعطينا مجموعة نماذج يستطيع كل واحد من المجتمع أن يأخذ منها.

الوقفة الرابعة: رسائل في عجائب السورة

من عجائب ولطائف سورة مريم أن اسم الرحمن، هذا الاسم اللطيف الجميل، الذي يدل على الحنان الالهي، والعطاء الالهي والمواهب المسـتمرة، المترددة المتوزعة حتى في آيات الوعيد والعذاب والتخويف. أنظروا الى هذه الفتة الإلهية الجميلة التي تعامل بها الله سبحانه في هذه النقطة، قال تعالى: {**يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّـيْطَانِ وَلِيًّا**(٤٥)}، وقوله تعالى: {**ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا**(٦٩)}، هنا نجد رسالتين دقيقتين:

اولاً: رسالة إن العذاب رحمة ايضا، لأنه يعيد الناس الى رشدها، وصوابها، فلولا الوعيد والتهديد لما عاد كثير من الناس الى رحمة الله تعالى.

ثانياً: رسالة مخجلة وموجعة ومزلزلة، هي إن الكافرين خسروا من؟ خسروا الرحمن، رغم إنه (الرحمن)! خسروا رحمته رغم أن رحمته تحيط بهم!! رغم أنهم يعيشون بالرحمة، وينعمون بالرحمة، وكأنها آية مزهرة لضمائرهم، تقول: انتم خسرتم رغم أن الله ارحم الراحمين.

الوقفة الخامسة: معنى السجود فيها

في سورة مريم هناك سجود وهو سجد التلاوة –في سجود التلاوة انت مخير، إما أن تسجد او تبقى على وضعك وتردد: سجد وجهي للذي خلقه، وشق سمعه، وبصره، بحوله وقوته، فتبارك الله احسن الخالقين– اما علة السجود هنا؟ لان السجود في سورة الرحمة(مريم) هي سورة الذكريات والاحاسيس ومشاعر الرحمة، والعطف والنعم الالهية التي تحيط بالإنسان.

لو تأملنا في الآيات التي تتحدث عن السجود باي سياق اتت، قال تعالى: {**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا** ۚ

إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩(٥٨)}، فهم خروا، اي عاشوا حالة الذوبان مع رحمة الله؛ اذ لابد أن يكون السجود في سورة مريم غير السجود في سورة الرعد، الحجر، فهناك سجودان يختلفان عن هذا السجود.

ففي سورة الرعد كان السجود سجود(المهابة ، الخشية، الخشعة)، اما سورة الحجر فكان سجود (الشكر على نعم الله تعالى)، وإما السجود في سورة مريم فهو سجود (استشعار الرحمة الالهية) التي يخرون لها سجدا وبكيا.

الوقفة السادسة: النموذج مع المنهج

من اللطائف الجميلة والتنبيهات الجليلة في هذه السورة، هي إن الله تعالى عندما ذكر الاولياء، الانبياء في هذه السورة؛ فإنه لم يذكرها خالية من الصفات ابداً، بل وضع مع كل واحد من هذه النماذج صفة منهجية وميزة الهية، وكأنه يريد أن يقول لنا إن هؤلاء لم نحابيهم، لم نجاملهم، او نجملهم ، ولم نقدمهم على حساب غيرهم. فللنظر كيف تحدث القرآن الكريم عن كل شخصية من هذه الشخصيات، وما هي صفاتهم التي ذكرها؟

- عندما ذكر السيدة مريم(عليها السلام)تحدث عن طهرها في وسط ملوث فاعتزلتهم، بقوله تعالى:{**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**(١٦)}، تحدث عن اعتزال الطهارة.

- عندما ذكر زكريا(عليه السلام) تحدث عن عبوديته الصارمة وتسليمه لله سبحانه، بقوله تعالى:{**ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**(٢)}.

- عندما تحدث عن يحيا(عليه السلام) تحدث عن تقواه، بقوله تعالى:{**وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا**(١٣)}.

- عندما تحدث عن ابراهيم(عليه السلام) تحدث عنه صدقه ونبوته، بقوله تعالى:{ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا** (٤١)}

- عندما تحدث عن موسى(عليه السلام) تحدث عن اخلاصه، رساليته ونبوته، بقوله تعالى:{**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**(٥١)}.

- عندما تحدث عن اسماعيل(عليه السلام) تحدث عن صدق الوعد التي تحلى بها، عن رساليته، نبوته، بقوله تعالى:{**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**(٥٤)}.

- عندما تحدث عن ادريس(عليه السلام) تحدث عن صدقه، نبوته، بقوله تعالى: {**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**(٥٦)}، بالنتيجة كلما ذكر صفة من الصفات التي هي تؤهله لهذا المقام الرفيع، هنا لفتة رائعة هي إنه لا يوجد قانون المجاملات بل كل من حضي بمقام الاصطفاء لأهلية فيه، لإستحقاق كان عنده.

الوقفة السابعة: تأملات في بعض الآيات

(١)

قال تعالى: {**قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**(٩)}، فعبارة(عليه هين) جدا مهمة هذه العبارة، {كذلك قال ربك} يقولها تعالى ليس لسيدة مريم فقط، بل للكِ/ لكَ لنا جميعا، في اليوم مرات ومرات، لكن الفرق إن هذه المقولة لا تسمع بالأذن، بل بالقلوب (هو علي هين).

نفس المعنى ونفس الجمال والجلال والمعنى في هذه الآية، هذا منهج الانسان المرتبط بالله سبحانه وتعالى، الله تعالى هنا لا يحكي لنا قصة مجردة بل يحكي لنا مواقف مجسدة، التي ينبغي ان نعيشها في وجودنا.

(٢)

قال تعالى: {**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا**(٧٣)}.

اية تتكرر في كل زمان، جيل، تقاس بنفس الالفاظ، وتقال بنفس المقال: {**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا**} فهذين الفريقين في كل زمان ، وهذا السؤال موجود، فإن الانسان المؤمن لديه الجواب حاضر، وواضح: {**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّين**} ثم تمشي قليلا في اعظم ضمان/ وعد/ حصانه/عهد بقوله: {**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا**(٧٦)}، هذه النقطة مهمة للذين يرتبطون بالله ارتباط حقيقي فإنهم في حالة زيادة كل يوم.

(٣)

قال تعالى: {**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**(٢٤)} هذه الآية نحتاج الى أن نتأمل فيها طويلا، فقط هذه العبارة (**أَلَّا تَحْزَنِي**) في سورة مريم هي سورة كاملة لكل فتاة رسالية محجبة، زينبية، أن لا تستوحشي.

قصـــة مريم قصـــة تلك الفتاة الجامعية الملتزمة التي باتت غريبة في مجتمعها، فانتبذت من اهلها، مكان هذه الفتاة التي عبارة عن انس وسكينة وطمأنينة للجميع ككل.

هذه القصـــة هي قصـــة مهدات لكل فتاة ترتبط بالله تعالى، فتاة لا ناصـــر لها، ولا انس لها، ولا ضـــمين، فيأتي مولاها فيشـــرح صـــدرها ويثبت اقدامها، ويجعلها رسالة للإنسانية جمعا.

الوقفة الثامنة: الخلاصة

لما تتجول في السـورة تتلمس رحمة الله تعالى، احيانا يأتي احد ويصـف لك رحمة الله، لكن هذه السـورة لا! تحسـسـك برحمة الله، قال تعالى: {**فَكُلِي وَاشْـــرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا**(٢٦)}، وقوله: {**قَالَ سَـــلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**(٤٧)}، وقوله: {**وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**}، وقوله: {**وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا**(١٣)}، وقوله: {**أَلَّا تَحْزَنِي**(٢٤)}، وقوله: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا**(٩٦)}

انها ســورة عبيرها وسُــورُها الرحمة، تختم هذه الســورة بخاتمة تحتاج أن يتأملها العالم، يتدبرها، يكتبوا عنها، يقرؤوا حروفها، يعرفوا مسيرها.

الوقفة التاسعة: الخاتمة

ختامها صـــمت، ســـكوت، همس، قال تعالى: {**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا** (٩٨)}، هكذا بدأت السورة بالرحمة، وهكذا انتهت بالتذكرة.

سورة يونس

يمكن ان نسمي هذه السورة بسورة " **النبوءات/المفاجئات**" ، سورة "**الحقائق، الدقائق، سورة العقاب الالهي**".

فمن يريد أن يســـمع عتاب الله تعالى ويرقق قلبه به اذا ما مر بغفلة بسبب مال، تعب، اجهاد، صديق فعليه بسورة يونس، لأنها سورة العتب الالهي الجميل التي تنبهر له العيون دون أن يشعر.

فكل من ترونه من اصدقاءكم، اقرباءكم، قد جفى قلبه، جفت دموعه من خشية الله تعالى، وبدء يجفوا العبادة مع الله تعالى، اوصوهم بهذه السورة، فهي ذات اثار عظيمة.

الوقفة الاولى: الحقائق الاربعة

من اراد أن يعرف الحقائق الاربعة التي يرتكز عليها الوجود، ويرتكز عليها وجودنا ومسيرتنا وكدحنا الى الله تعالى، ومسيرة حياتنا في الدنيا، فليتأمل بسورة يونس، فهي تَذكر لنا اربع حقائق (مربع وجود الانسان كله من بدايته الى نهايته).

الحقيقة الاولى:

حقيقة الدنيا وجوهرها ومعدنها وما هيتها؟ وكيف يجب على الانسان أن ينظر اليها، ويتعامل معها؟ وما هي الدنيا عند الانسان؟ اين موضعها؟ كيف عليه أن يتعامل معها؟ حتى لا يركن اليها؟ ولا يولع بها، ولا يتعثر وهو في طريقه الى الاخرة.

فهذه السورة جسدت هذه الحقيقة واعطتنا اياها بشكل دقيق وحقيق، وصريح وواضح دون لبس، قال تعالى: {**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٢٤)**}.

الجميل في هذه الحقيقة هي إنها تُفصـــل في كيف لنا أن نتعامل مع الاختلاط في هـذه الـدنيـا، فـالـدنيـا مكـان مختلط، والاختلاط هنـا اضـطراري فكل خير فيه شـر، وكل شـر فيه خير، وكل تعاسـة ممزوجة بالسعادة، وكل عافية يكتنفها مرض، وكل مرض روحه العافية، وهكذا هذا الخلط الجميل، الذي بينته الآية يبين لنا حقيقة الدنيا التي يغفل عنها الناس للأســـف(طبعت على كدر وأنت تريدها * صـــفوا من الأقذار والأكدار).

كما إن هذه العبارة القرآنية (**فَاخْتَلَطَ بِهِ**) هي حقيقة الدنيا، هذه الحقيقة تبصـــرنا في التعامل مع ما عندنا، كل من يتزوج فأنه عليه أن ينتظر إن في زوجته شائبة، وكل من يتزوج بحب أن تؤمن إن في زوجها خلل، والابناء فيهم نقص، الاقرباء كذلك، لا يوجد لدينا شيء كامل ما دمنا في عالم الدنيا، عالم النقص، عالم الكدورات، وهي حقيقة ذات بصيرة عالية.

*****

الحقيقة الثانية:

حقيقة المفســـدين، خاتمتهم، ثمرت جهدهم، نتيجة عملهم، ما هي عواقب اعمالهم المترتب على جهدهم الذي يبذلونه، كل إنسـان يرتبط

بالله اذ قرأ سورة يونس سيعيد النظر بكل نية افساد حتى لو كانت على خصومة مع الذين يختلف معهم، والذين لا يأتلف معهم.

الدقيق في الحقيقة الثانية إنه سبحان الله في هذه الحقيقة بَين تأكل الفساد داخلياً، وكيف إنه لا ينمو، ولا يتأثر، ولا يزهر، ولا يستمر، وهذه حقيقة مهمة جدا، كما في ختام هذه الآية{ ۞ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**(٨١)}، فحتى لو كانت نيتهم خدمة الناس والمجتمع، طالما هم مفسدين وفي دواخلهم نية الفساد وارادة الافساد بشكل او بأخر.

وسبحانه اكثر ما يلوح في الافق في هذه الآية هو يتكلم عما يجري في هذا الواقع فكل ما يعرض الان من حقائق مزيفة من برامج، مسلسلات، كلها بفرض الافساد، بمجرد أن تأتي نسمة هواء الهية اصلاحية يعود الناس الى الله تعالى، إذ يبقى ديدن الناس الفطرة السليمة.

فمنذ أن بدأت الدراما في العالم العربي او الغربي، فإن نيتها الإفساد الا ما ندر، هي لا زالت تأكل نفسها، الممثلون يهرمون، يكبرون، يموتون وحيدين، غرباء دون أن يلتفت اليهم احد، بنيت قنوات وهدمت اخرى، بني اعلام وهدم اعلاميون.

فهذه الحقيقة الثانية تجعل الانســان ملتفت دائما الى حقيقته، يا من تُقدم، تبرز، تصلح، ما هي نيتك؟ هل حقيقتك فاسده، ام صالحة؟ وعلى هذا الاساس سيبقى الانسان ملتفت لحقيقته التي تراد منه.

*****

الحقيقة الثالثة:

هي عكس الحقيقة الثانية، وهي حقيقة الهداية والاهتداء والعروج الى الله تعالى، وكيف يهدي الله تعالى الانســان وعلى اي اســاس؟ ما هو الاســتحقاق الحقيقي الذي على اســاســه يكون الفرد من المهتدين، وذلك من غير المهتدي.

وبلمحة صغيرة دقيقة، وايمانية الهية دقيقة بُينت كلمة السر في الهداية بقوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**(٩)} هؤلاء الذين امنوا وعملوا هم مهتدين، لكن الآية ستفاجئنا وتقول {**يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ**}، كأن الله سبحانه يريد أن يميز بين الذين امنوا وبين الذين استقر الايمان في نفوسهم، الإيمان الذي يستقر في النفس فيتحول الى حقيقة ثابتة غير متزلزله؛ فإن الانســان لا يهتز ولا يتزلزل ويبقى مهتدي! مبتدئ يهديه الله.

اذن حقيقة الهداية عند الله سبحانه والتي يذكرها تعالى في هذه السورة هي إن الهداية مرتكزة على الايمان، لا الذين امنوا، الآية هنا لم تكن بين الذين امنو وبين المؤمنون، بل تتكلم عن الذين ءامنوا ثم استقر الايمان في نفوسهم، هؤلاء سيهديهم الله تعالى.

ترون اليوم تقلب المواقف، تقلب الافكار، والانوار، هذا دخل وذلك خرج، وهذا ذهب وهذا عاد، لان الايمان لم يستقر بالنفوس، لان هناك شك، ريبة، هناك دنيا تزحف على الانسان، وهناك خوف من سلطان، هناك ارتعاب من الجمهور، والناس.

لذلك رب العالمين كأنه يقول لنا: ثبتوا ايمانكم واجعلوه مستقر في نفوسكم حتى يهديكم الله تعالى به، فتستمرون بالسير الى الله، وتستقرون في جنة النعم، وواقعا هذه الحقيقة من ابرز الحقائق.

يسال البعض لماذا لا يستقر ايمان البعض؟ لماذا يخرج البعض من الايمان؟ لماذا يضل الانسان؟ الجواب: هو لتزلزل الايمان ببعض العقائد، ببعض ما يعتقد به الانسان، ببعض الثوابت، فإنه ذلك خطر وخلل يؤدي الى زوال هدايته.

*****

الحقيقة الرابعة:

اخطر الحقائق التي تذكر في القرآن الكريم، هي هذه الحقيقة وهي الحقيقة التي اوكل بها الناس واندثروا، حقيقة خطيرة وعجيبة، والقران الكريم حقا معجزة الدخول الى النفوس، القرآن الكريم المخترق حقا، اذ يتعجب من يقرئه الى كيفية إنه يخترق النفوس، ويصل الى اعماقها، ويستخرج هذه الحقيقة، في كثير من الاحيان إن الانسان يُضل الناس بما لديه من ظلمانية واموال، من جاه، سلاح، جمال، الخ.

إلا إن القران الكريم يلفت نظرنا الى حقيقة قلما نلتفت اليها وهي: **{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ(٢١)}**، هذه الآية تتحدث عمن تحدث له كرامه ثم يستغلها ويمكر بالناس ويستغلهم.

تتحدث عمن يؤتى علم ديني الهي ثم يستغل الناس ويمكر بهم، تتحدث عمن تكون له من الله رحمة في مكان مرتبط بالله ثم يستخدم ذاك في مكر الناس والعبارة دقيقة(**مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا**)، تعالى يعطيهم آيات فيمكروا بها بإستخدامها في غير موضعها، اخطر ما يمر به الانسان هو ما يمر به من خلال هذه الحقيقة، نحن نتصور أن حقيقة

الافتتان بالمال والجاه والجمال في ظواهر هذه الدنيا، لكن هل التفتنا في آيات الله، وكيف يمكن أن تكون فتنة نفتتن بها، الآيات التي يهبها تعالى للإنســـان ؟ يعني ممكن يهب الله تعالى للإنســـان آيات، مثلا يجعله من المفســـرين الكبار للرؤيا، والمنامات لكنه يمكر بعباد الله فيســـتغلها، وما اقذر واكثر هؤلاء في زماننا، بمجرد أن يؤتيه الله تعالى بعض آياته، روحانية، قدرة على تفســـير المنامات، يرزقه اية شـــفاء، كرامة بيده.

وإذا به يستغل هذه الكرامة فيستغل الناس بأخذ الاموال، والجاه وربما يفسد، ربما حتى باللسان، وهذه حقيقة خطيرة.

فهذه الحقائق الاربعة تتوقف عليها مسيرة الانسان في مسيرته الى الله تعالى وحياته، كيف يتعامل معها، دققوا فيها، حققوا بها، ووثقوا بها علاقتكم مع الله تعالى.

الوقفة الثانية: بين الترهيب والترغيب

في ســـورة يونس كمية كبيرة من الترغيب الجميل، والترهيب الجليل، سياق رهيب جداً، يأخذ بمجامع الأنفس الى الله سبحانه، بين راغبة، وبين راهبة.

في سـورة يونس جمع دقيق ورقيق ومؤلف بين كلمات الترغيب الجميلة ذات الكلمات الجليلة، والمعاني الجميلة النبيلة، وبين الكلمات الترهيبية الجليلة التي تأخذ بمجامع النفس فتربطها بالله تعالى سـبحانه، وهنا سنورد مجموعة أيات تبين كيفية تعامل الله سبحانه مع هذا المستوى:

(١)

قال تعالى: {**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**(٢٥)}تبين هذه الآية الى اي شيء يدعوا الله تعالى؟ لماذا يدعونا؟ لأي حقيقة يدعونا؟ لمن؟ {**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**(٢٦)}، ثم بعد تأتي الآية مغايرة تماماً، وهذه هي القدرة الالهية الفريدة التي لا يستطيع عليها احد، لم تتكلم كأنسان.

فالإنسان عادة إذا تكلم بطريقة الترغيب لا يمكنك أن ينقلب ويتكلم بطريقة الترهيب في الوقت ذاته، فملامح الوجه لابد أن تنعكس ، وتعامله مع ما سيطرحه سيتغير.

الان في هذه الآية(٢٦ الى ٢٧)ينقلب الخطاب مباشرة، وهذه واحدة من فوائد القران الكريم، هناك ترهيب عجيب وخطر للإنسان.

بقوله: {**وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**(٢٧)}، ترهقهم لانهم تعبوا كثيرا حتى وصلوا الى المعصية، فهي عكس (**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**).

فآية(٢٦)جمع تعالى بين ترغيب جميل بحيث جمع في هذه الآية البركة، التكريم، العزة، الخلود، هذه الاربعة ترغيبات الهية يطمح اليها الانسان، فالإنسان يريد البركة والزيادة، يريد التكريم، العزة، الخلود، الاستقرار، وهذه الآية لا تتكلم عن ذلك العالم فقط، لا فهي تتكلم عن هذا العالم ايضا.

فإن الانسان بعالم الدنيا له زيادة كما في قوله (زادهم هدى) يعني هناك بركة، تكريم، لا توجد ذلة للمؤمنين، كذلك الخلود من حيث الاستقرار مع الله والاستقامة على دين الله تعالى، اي إن هذه الترغيبات في الدنيا وليس للأخرة فقط.

اما في اية (٢٧) اذ تجد اساليب الترهيب، بقول(**وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ**)، و(**مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**)، و{**كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمً**}، هنا يتوقف العقل والخيال... عجبا تخيلوا ماذا يقول

أُغشـــية وجوههم ليس بقماش او اكمام الثياب بل قطع من الليل المظلم، إذن تبين لنا هنا اربعة في قبال اربعة (الذلة- الغربة- الظلام- الخلود).

(٢)

قال تعالى: {**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا**}، هذه الآية نستطيع أن نعبر عنها بالآية القاصفة قصف رباني بشكل عجيب، هناك تصوير الهي لهذه الآية، لو جمعنا الخلق اجمعين على أن يصوره لن يستطيعوا، تأملوا في تعبير الله تعالى: فالكل سيحشر، الانسان العادي، والوجيه، القوي والضعيف، الطاغي الظالم العادل، وهذه واحدة من نقاط ذلة الطغاة انهم يحشرون مع عبيدهم في صف واحد.

قال تعالى: {**ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ**(٢٨)}، هنا ليست بحريتك تذهب أينما تريد وتقف اينما تريد هناك لا كما في قوله تعالى: {**لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**}(غافر :١٦)، وقوله: {**ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**}(الدخان :٤٩).

ثم يقول تعالى عبارة جدا جميلة ودقيقة(**فَزَيَّلْنَا**) اي ازلنا كل الحواجز لا يوجد اي حاجز بينهم وبين عبيدهم واناسهم.

(**وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ**) الان بدوءا يتبرؤون من بعض، يلوم احدهم الاخر، يتقاذفون فيما بينهم.

(٣)

اية الخلاصــة، قال تعالى: {**فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَــهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ**(٢٩)}، ثم النهاية هناك تبلوا كل نفس، الكل ينتهي ويذهب.

الوقفة الثالثة: بين اهمية السمع والبصر؟

من اعجب وادق الوقفات القرآنية وهي على اساسها واساس غيرها، ما هو الاهم عندنا هل البصر ام السمع؟ كلنا نقول: البصر اهم من السمع.

لكن القران الكريم بلغته الدقيقة يميز لنا بينهما، عندما ختم الآية التي تتحدث عن السمع ختمها بلا يعقلون، بقوله: {**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنْتَ تُسْــمِعُ الصُّــمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ**}، ولما تكلم عن النظر ختم الآية بلا تبصرون، بقوله: {**وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ**} .

في هذه الآية تعالى يفاجئنا إن السمع اهم وانفع من البصر، السمع اكثر من نافذة، بينما نحن مفتونون بالبصر، لان السمع ثلاثي الابعاد، بينما البصر احادي الابعاد، السمع تسمع به ما كان، وما سيكون، وما هو كائن، بينما البصر يريك ما هو كائن فقط.

فما جرى في زمن النبي (صلى الله عليه واله)من احداث، تلك التي لا يمكن أن تصل اليها ببصرك، لكن يمكنك استيعابها بسمعك، وكل الحضارات السابقة لا تستطيع أن تبصرها بالبصر، كما تأتي الآيات متجلية، تأتيك فتقرأها، فترى ذلك الجمال الالهي الدقيق.

لذا دائما يكون الافتتان بالبصر لكثرة الالوان البراقة والتزويق والزخرفة التي تجعل الانسان يذهل عن حقيقة الامر، فيرى ظاهره فقط بينما في السمع هذا ما تجده الا قليلا، هكذا رب العالمين يفاجئنا بالقران الكريم.

الوقفة الرابعة: الهداية المهندسة

الآية التي تكررت فيها كلمة يهدي خمس مرات بمختلف ألفاظها، فقط في اية: {**قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**(٣٥)}، إذ تكررت ٥ مرات،

عندما نعود لسورة يوسف فإنها فقط تكررت فيها كلمة الهداية (٩مرات) وهي السورة الوحيدة فيها هذه الاشارة الدقيقة التي هي ذكر الهداية- نحن نتحدث فقط عن مشتق كلمة يهدي، ناهيك عن العبائر الاخرى، التي ذكرت ومؤداها الى الهداية.

هذه الآية لما تتحدث عن الشركاء تقول(الى الحق)بينما لما تحدث عن الله قال(للحق)، لان الشركاء دائما يهدون بواسطة، لكن الله تعالى يهدي بلا واسطة، بذاته، فالهداية الاقرب هي هداية الله جل وعلا وكأنها ملتصقة برحمته التصاقا، وممتزجة برئفته امتزاجا، وهذا من ادق التعابير لأهل الذوق في اللغة.

الله سبحانه وتعالى في بداية الآية ذكر الضال(**قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ**)، فالضال من يتخذ لله شريكا، فلينظر الانسان هو من اي صنف؟ حتى يضع نفسه بالموضع الذي يليق به.

إذ نستطيع أن نسمي هذه الآية بآية الهندسة الالهية للهداية، الغريب في هذه الآية انها قارنت بين ثلاث اصناف: صنف خفي لم تتحدث عنه الآية، كما إن الآية لم تتحدث عن مهتدي وضال، انما تحدثت عن مهتدي وهادي(وهذا الهادي اما هادي للحق او للباطل)، الآية بالأصل لا تسمح للمقارنة بين الهادي المهتدي وبين المهتدي الهادي، بقوله{**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ**

يُهْدَىٰ ۖ}، وكأنها تتحدث (عن من ازيلوا عن مراتبهم التي رتبهم بها الله فيها، وهم آل النبي).

الوقفة الخامسة: وقفة المعلم مع التلميذ

في هذه السورة تكررت ما يقارب تسع مرات كلمة (قل)، قمة الرئفة الالهية والحنان بالنبي، وقمة العبودية من النبي لربه المتعال:

بقوله تعالى: {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}

وقوله: {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى}

وقوله: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}

وقوله: {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ}

وقوله: {قُلْ هَلْ مِنْ شُـــرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}

وقوله: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}

وقوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْـــتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ}

وقوله: {قُلْ بِفَضْـــلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}

وقوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ}

وقوله: {قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ}

وقوله: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}

وقوله: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَـــكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}

وقوله: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ}

وقوله: {**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَـــكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**}

اي تعالى يقول لنبيه: انا القنك، اعلمك، اعطيك اجابة عن كل اسئلتهم، اذا قالوا لك هكذا، قل هكذا، وهذه فيها ثلاث اشارات عميقة ودقيقة:

الإشـــارة الاولى: إن النبي على علو شـــأنه الا إنه يبقى ينتظر قول الفصل من الله سبحانه في بعض المسائل، فالنبي حتى وإن صار نبي يبقى محتاج الى ربه، محتاج الى إنباءه، تعليمه، هدايته.

وهذه رسالة لنا جميعا لا يذهبن بنا الطيش بعيدا فنتصور أننا استغنينا عن الله تعالى، درسنا بضع سنين، اخذنا بضع علوم، نتصور أننا فوق كل ذي علم.

الإشارة الثانية: الطمأنينة للنبي (صلى الله عليه واله) والكفالة من الله للأنبياء، اذ إن الله تعالى لا يرسل الانبياء ثم يتخلى عنهم، ويضعهم بمأزق-كما يتصور البعض- كان لما يهزم المسلمون في بعض المعارك، كانوا يلمزون النبي بهذه الكلمة، لقد هجره ربه، ونساه..! وللأسف هذا في كتب المسلمين، لما ابطئ عنه الوحي قالوا لقد هجر الله النبي!

لذا هذه اشـــارة جميلة لنا جميعا، اذا كنت من المؤمنين المرتبطين بالله، الله تعالى لن ينســاك(أطمئن) ســيمدك بالإلهام، والتســديد، واللطف الخفي والجلي.

الإشارة الثالثة: إن الله سبحانه لا يحرم عباده مهما كان وزنهم، لونهم، حتى لو كانوا من الذين اشــركوا من أن يجيب عن اســئلتهم، لا يهمل تساؤلاتهم، اشكالاتهم لان الله يريد بالناس اليسر ولا يريد بهم العسر، لا يقول لنبي إن قالوا لك كذا اهملهم او لا ترد عليهم.

وهذا ادب جميل من الله تعالى، مع عباده، ينبغي أن نتعامل نحن به مع ابنائنا، ممن لديه ابناء عليه أن يتعامل معهم بهذا الادب، لا يستهزئ بأسئلتهم، لا يوبخهم، حتى لو كانت بسيطة، لانهم يسالون من عندهم، ومن مستواهم لا من مستواك انت ايها الاب.

الوقفة السادسة: التواصل النفسي في سورة يونس

هي من الوقفات الجميلة التي نتمنى أن تلقى على عاتقكم وتهتمون بها جيدا، وتلتفتون اليها مليا، وقفة الوعي بين النبي وقومه، ودقة التواصل بينهم، خصوصا التواصل النفسي في سورة يونس.

هذه السورة تذكر عدة انبياء لكل واحد منهم قصة وفاصل متميز، يعطي لفتة جديدة في سيرة الانبياء:

فقد ذكر نوح(عليه السلام) مشكلته التي كانت ابنه الذي تخلى عن الرسالة، ولم يهتدي وأستهزئ على اثر ذلك بالنبي حتى المقربين؛ فكانت قصة نوح(عليه السلام)قصة المفاجئات؛ بحيث الحيوانات ركبت في السفينة، والناس ابت ذلك، وبررت رفضها إن ابن نبي لا يؤمن بنبيه، فلما نؤمن نحن به؟! وهكذا بدئوا يثيرون الشكوك، ربما ان ابنه يعلم عنه ما لا نعلمه نحن؟! وما لم نره!

وهذه واحدة من المفاجئات المؤلمة التي تكونت للنبي بحيث انه في لجة من البحر يقول له اركب معنا، يقول: { **سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**}(هود :٤٣).

****

قصة موسى(عليه السلام) ذكرت جانب مهم وخاص عنه، هذه القصة التي فيها من المفاجئات الكبرى، وهي سلاح فرعون الناطق، سلاحه الكبير الذي اعتمد عليه وارتجى منه تفنيد حجة موسى (وهم السحرة)، في نهاية المطاف انقلبوا عليه وانقلبوا بنعمة من الله وفضل، وامنوا بموسى، وهذه هي المفاجئات التي غيرت الصراع كله.

ومن قبل ذلك قصة موسى في بيت فرعون، كانت هناك مفاجئات غريبة إذ انه تربى فيهم صغيرا، وتربى لديهم طفلا، ترعرع لديهم شابا ومن ثم هو الذي قضى على ملك فرعون، إذ في قصة موسى(عليه السلام) تحولين دقيقين:

التحول الاول: هو أن يذهب الضعيف الى الأقوى، أن يذهب الفرد الى الاكثر، أن يذهب المحكوم الى الحاكم ويدعوه الى الله تعالى.

التحول الثاني: هو كيف قلب الله السحر على الساحر، وهذه المرة قلب الساحرين الى الله تعالى، وهذه لفتة طيبة تجعل الانسان متأمل للخير، في كل الصراعات بين الخير والشر، وبين حاكمية الله تعالى على الخلق.

****

مفاجئة قصة يونس(عليه السلام) الكبرى هي إن يونس يأس من قومه، ورأى العذاب قد نزل عليهم، واحاط به، بقوله تعالى: {**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**}(الأنبياء :٨٧)، ثم ماذا؟

ومن ثم يفاجئه الله تعالى فيرحمهم، في قوله: {**فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**(٩٨)}، وهذه المفاجئة الاستثنائية لكل الرساليين والدعاة الى الله، ففي هذه القصة اشارتين دقيقتين:

الاشارة الاولى: وإن كنت نبي فإنك لا تحكم بدل عن الله تعالى، ولا تحتم على الله، ولا تضع نفسك مكان ربك، لان الله يرحم ويهدي من يشاء.

الاشارة الثانية: حتى لو كنت مذنب ومقصر هناك امل تأتيك مفاجئة الادراك الالهي، فتتوب اليه، وتعود اليه، وهذه فعلا مفاجئة.

الوقفة السابعة: رسم لوحة سورة يونس

اخال أن سورة يونس مدينة كبيرة بها كثير من الناس، واحد لا يدري ويعلم بالأخر، وفوقهم حاكم يدري بهم جميعا، فيها الغافل لا يدري بذلك الذاكر، وفيها القادم الذي لا يدري بذلك العائد، وفيها الذاهب الذي لا يدري بذلك الراجع، هنا عاصفة، هناك خداع، هنا كذب، عجلة، ندامة، دنيا، زينة، هنا حقيقة، هداية.

كلها اماكن مليئة بالمفاجئات، الكل لا يدري بالكل!! ولكن فوق الكل رب يرى ويدري بالكل، صورتها هي إنها [المدينة المشغولة والرب الذي لا ينشغل].

الوقفة الثامنة: ختام السورة

قال تعالى: {**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**(١٠٩)}